هذا كتاب متن الشفا في قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم

وقف لله تعالى

هذا كتاب متن الشفا
في قدر المصطفى
صلى الله عليه
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاشتق • المختص بالمجد الاعز الاحق • الذي لا وقت منتهى ولا وراء مرمى • الظاهر لا تحيلا وفهما • والباطن لعد سالا عدما • ووسع كل شيء رحمة وعلما • واسبغ على اوليائه نعما • وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربيا هاديا • وداعيا محمدا وسميا • وارجحهم عقلا وحلما • واوزنهم حلما وفهما • واقواهم يقينا وعزما • واشدهم برهانا ورحما • زكاه ربه وحباه وسما • وحاشاه عيبا ووصما • واتاه حكمة وحكما • وفتح به اعينا عميا • وقلوبا اقفالها • واذانا صما • فامن به وعزره ونصره من جعل الله في مقسم السعادة قسما • وكتب به وصدق من آياته من كتب الله عليه الشقا حتما • ومن كان في هذه امي في نوبة الاخرة اعجمي • صلى الله عليه وسلم صلاة تنمي وتنمي • وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين • ولطف لي ولك بالطف به لاوليائه المتقين • الذين شرفهم بتوحيده • واوجبهم من الطبيعة بفاقه • وخصهم من معرفته • ومشاهدة عجايب ملكوته • وانار قدرته • بما ملاء قلوبهم حيرة • وله عقولهم حيرة في عظمته حيرة • فجعلوا اهمهم به واحدا واكبرهم في الدارين حيرة • فهم بشاهدته كما له وجلاله يتنعمون • وبين انار قدرته وعجايب عظمته يتزودون • وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون • فهجين بصادق قوله تل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون • فانك كررت علي السؤال في جموع يتضمن التعريف بعد

المصطفى

المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام • وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق قدر منصبه الجليل تلامذة طفر • وان اجم لك ما الاسلافنا • واجبتك بتنزيل صورة امثالك فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا • وارهقتني فيما تدعني اليه عسرا • وارقيتني لما كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا • فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول • والكشف عن علوم وفنون من علم الخلايق ما يجب للنبي ويضاف اليه • او يسبغ او يجوز عليه • ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والحجة والدلالة وحقايق هذه الرتبة العلية وهاهنا مسالة فيج يجب بيانها اللفظ • وتقصر فيها الحفاظ ومجاهل يضل فيها الالحاظ ان لم تعتمد بعلم عم • وتطرس سديد • ومداد محض تزل بما الاقدام ان لم تعمد على توفيق من الله وتاييد • لكني لما رجوته لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب • بتعريف قدر الجسيم وخطره العظيم • وبيان خصايصه التي سمح بجمع قبل في مخلوق وما يجب ان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق • ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا • ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه • ولما حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد الله المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجم الله يلجام من نار يوم القيمة فبادرت الي تكت مستعيرة عن وجه الفرض مورديا من ذلك الحق المفترض • اختلستها على اشتغال لما المرء من صده وبشغل البدن والبال • بما طوقه من مقاليد المحنة التي البلى بها فكادت تشتمل عن كل فرض وتعطل وترد بعد حسن التقويم اي اسفل سفل ولو اراه الله بالانسان خيرا جعل شغله وهمه كله فيما يبعد غدا او يدخله • فليس شخص حضرة اليم وعذاب الجحيم وثمان عليه بحق بعثته واستنقاذ محجته وعمل صالح يستزيده • وعلم نافع يفيده او يستفيده • جبر الله صدع قلوبنا واقمر مظلم ذنوبنا • وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر زادنا واعيانا لما يحبنا •

ويمن بنا اليه تعالى ذلي ويحيطنا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
بتوبيبه وممدت ناصيله وخلصت تفصيله وانتخبت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام
اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنا يه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب
الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل
الدينية والدنيوية فيه نفسا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب
الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات
والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام وفيه ثلاث
المقول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به
ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني
في لزوم محبته ومن محبته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم
امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم
الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم
الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب وباب عشرة
هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما
تناوردته فيه من انكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمبين من
غرض هذا الناليف وعده وعدة التقصي لموعدته والتقصي عن
عهدته نشرح صدرا لعد والعين ويشرق قلب المومن باليقين
ويملا انواره جوانح صدره ويقدر العاقل الفطن حق قدره ويحرر
الكلام فيه في بابين الباب الاول يختص بالامور الدينية
وينتشب به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب
الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه من الاعراض البشرية
وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من

تنقصه

تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول
في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم ثنا يه وعوذ به ومنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه كالمتمم لهذه المسالة ووصلة للبابين الذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملايكته وكتبه وال النبي صلى
الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها
ينتجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة
وفي تاج المتواجد درة خطيرة تزيح كل لعبس وتوضح كل تخمين وحدس
ويشف صدور قوم مومنين ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي
الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال القاضي الامام ابو الفضل
رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خض بادنى لمحة من
فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لتمام وتقويمه من عظيم قدره بما تكاثرت عنه
الالسنة والاقلام ضمنها ما صح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه
واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقليد اجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك
واثنى ثم اثاب عليه الجزا الاوفى فله الفضل بدا وعودا والحمد اولى
واحرى ومنها ما ابرزه العيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين
الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من
ادركه وعلمها علم يقين من جا بعده حتى انتهى علم جميعة ذلك الينا
وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا احدثنا
القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قرا ة
مني عليه قال نا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا ابو علي
السنجي قال نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ

قال ثنا اسحاق بن منصور قال ثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا
ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ايحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه قال فارفضّ عرقا **الباب الاول** في ثنا الله تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره له بيد **اعلم** ان في كتاب الله العزيز
ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره
وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
في ذلك عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء
المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله اعلم الله
تعالى المومنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم
يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه واماناته ولا يتهمونه
بالكذب ونزلت النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة
الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو
عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى ولكونه
من اشرفهم وافهمهم وافضلهم على قراءة الفتح وبعده عما يشينه المدح
ثم وصفه بعد بما وصفه حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه
على هدايتهم وكرشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دينهم
واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمن مبينهم قال بعضهم
اعطاه اسمين من اسمايه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله
تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية
وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا
وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال
ابن الكلبي كتبت للنبي عليه السلام خمسمايه ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما
عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال

من نبي

من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا وقال جعفر بن محمد علم نجّر خلقه عن
طاعته فعرضهم ذرا لكي يعلموا انهم لا يبالون الصغو من خدمته فاقام بينهم
ويبنه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعت الرافة والرحمة واخرجه
الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمد ابن بنة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع
شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين
من كل مكروه والواصل بهما الى كل محبوب الاترى ان الله يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام
حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للنا
بالامان من القتل ورحمة للكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة **وحكي**
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه
الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله عز وجل علي بقوله
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد
الصادق في قوله تعالى وسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انجا وقت سلا
من اجل كرامته محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور
السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا
محمد عليه السلام وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله
التستري الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان
مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة
اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضي
اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت
وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن
في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله

بادنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى آخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور النبوة • وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه ألم نطهر
قلبك حتى لا يوجد ذلك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
عصمناك ولولا ذلك لاثقلك الذنوب ظهر لي حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا
الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل هذا تقدير
من الله جل اسمه لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وتشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والمعارف ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهوره وبيانه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما تحمل الجميع وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه برمع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول كيف تدربي
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال
ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكر احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن
ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله
والرسول وامتنا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع
هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
ابن علي الجياني الحافظ قراءة عليه وانا اسمع قال ثنا
ابو عمر المنيري قال ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة قال
ثنا ابو داود السجزي ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن
عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان ع
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم
مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها لهم التي هي للسنق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال
اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من
التسوية وذهب غيره الى انما كره له ان يقول فمن يعصهما وقول الي
سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على
الله تعالى ام لا فاجاز بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخص الضمير
بالملائكة وقدروا الآية ان الله وملائكته يصلون وقد روي عن
عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الآية روي انه قال لما نزلت هذه الآية
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته بغيرهما لهم وقد
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخياره اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله عز وجل صراط الذين ع
انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن
زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام • وقيل
شهادة التوحيد • وقال سهل في قوله تعالى وآن لعقد والحمد لله

لا تحصوها قال لعنته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي
جا بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقري صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المومنون
وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه **الفصل الثاني** في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق
بها من الثنا والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة
وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته بنفسه بابلاغهم
الرسالة ومن حضا يصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدي به الخلق
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد قال ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطا
ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورا
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولكن يدفع بالسيية السيية ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا **وذكر** مثله عن عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخاب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة
معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخامله واكثر به بعد
القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة

واولف

واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتته وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس وفي حديث اخر اجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
وقال طيبة امته الحامدون لله على كل حاله **وقال** تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الآيتين **وقد قال** تعالى فيما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال المفسرون ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين
رءوفا بالمذنبين ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله فجعله
الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن الغابري اباه الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد الآية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى
هذه الآية وكما شهدت بكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على امهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول امم ما جانا من نبي ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه
وسلم عليكم للانبيا بربكم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن
وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن
الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد
الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع
في السابقين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل**
الثالث فيما ورد في خطابه اياه سوره الملاطفة والمبرة تن ذلك
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فقد قال ابو محمد مكي قبل هذا
ابتدا في الكلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله **وقال** عون بن عبد الله

اخبره بالعفو قيل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه
عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولوجه النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لم اذنت لهم خيف عليه ان يشق عليه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلة عند الله
ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه تعالى اياه وجوده ما يقتطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال بعضهم ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه
وسلم عاتب بعذره الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا والتقاهم وانه لا خروج عليه في الاذن
لهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرامض بن مام الشريعة خلقا ان يتأدب بآداب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة
الآداب الدينية والدنيوية ويتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المغني عن الكل المستغني عن الجميع وتير ما فيها من
الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وأتى بالعفو قبل ذكر الذنب
لانه لو ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب الله
نبينا عليه السلام قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط
المجد وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامه قبل ذكر
ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه فتى اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه
وكرامته وهذه قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى
الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه
حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم لا يعلمون انك
صادق فانزل الله هذه الاية فتى هذه الاية منزع لطيف اما خذ
من تسلية تعالى له عليه السلام والطائف في القول بان قوله عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قوله ولكنهم اذ قد كانوا
يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ما عسى ان يقسمه بسبعة الكذب

ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم
اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره لقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا الله عزاه وانسه بما ذكره عن من قبله ووعده النصر بقوله ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية ثم قوله بونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال العوفي ان الكفار لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون عليك بذلك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك وتما ذكر ثم خصا يشبه وبرأه تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل
يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال
الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بحياة محمد صلى الله عليه وسلم واضاله
ثم العين من العمر وكلتاهما فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه غاية التعظيم وغاية البر والشرف
قال ابن عباس ما خلق وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد وما سمعت
الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزا سألت الله بحياة احد
غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم الخلق عليه وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابن محمد
حكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكر ان منها طه ويس انهما له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
يس يا انسان اراد محمدا وقال هو قسم وهو من اسماء الله تبارك وتعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس
يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماوات والارض بالفي عام
يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان
قيل ما وجه ما ايها صلى الله عليه وسلم وضع فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما لم تعلم وليس فيه اذا قسم اعطف القسم لا حرف عليه وان كان يعني
الجد اجتهد جاهدا لصوابه بعد التحقيق برسالته والشهادة بهذه الآية افتتح

الله تعالى بلا سمه وكتابه انه من المرسلين بوجيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه الى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش يقسم الله تبارك وتعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تفخيمه وتعجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد حرمت حلك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت يا محمد حلال له وحل الله ما فعلت فيه على التفسير والمراد بالبلد عند هو لا مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبيركتك ميتا بعيني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وتابعه صحيح قوله حل بهذا البلد ونحوه قول عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنا الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد قال ادم وما ولد عام وقال هو ابراهيم وما ولد محمد ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعظم شانها وعن غيره فيما غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهم السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه اي سهل وجعل معناه انك انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه شرفه من فضيلة قران اسمه باسمه حتما لقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بنور قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يوجد لمن هو فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله تعالى وقيل هو جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال والنجم كلب محمد هوى الشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه فجر الايمان الفصل الخامس في قسمه تعالى بجده له ليحقق مكانه عنده قال جل اسمه

والضحى

والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فشكت امراة بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت هذه السورة قال القاضي الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله لرسوله وتنويهه به وتفخيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له بما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة للسورة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد اذ اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال بن اسحاق اي ما لك في من جعلك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى هذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادات وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال بن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران الكريم اوجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره من الايه بتبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه اليه وهدايته الناس به على اختلاف التفاسير والمعاني له فاغناه بما اعطاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما محدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه قيل المعنى المجيد لك فهدى بك ضالا واغنى بك عايلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن والله اعلم والمعلوم من التفسير انه يعلمه في حال صغره وعيلته ويتمه وقيل معرفته به وحده ولا كلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشاعة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة

منها النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد الله محمد عليه السلام
وقال محمد هو كلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه
السلمي نقضت هذه الايات من فضله وشرفه العدد ما يقف دونه العد
واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد القوى
ثم اخبر تعالى عن تفضيله بقصة الاسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى وقد بنى على
مثل هذا تعالى في اول سورة الاسرا ولما كان ما كان تفخم عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا يحيط به العبارات ولا
تستقل بحمل حماع اذناه العقول رمز عنه تعالى بالايما والكناية الدالة على
التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام تسميه اهل
النقد والبلاغة ايما الوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ من انواع ايراد
الايجاز وقال الله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى اخبرت
الاقسام عن تقبيل ما اوحى وناهت الاحلام في تقدير تلك الايات
الكبرى قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الايات على
اعلام الله تعالى بتزكيه جملته عليه السلام وعصمتها من الافات في هذا
المسري فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله
ما زاغ البصر وما طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم
لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة
على تبليغ ما حمل من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه عز وجل
رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السما امين على الوحي قال علي بن
عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف تشهد على هذا الله وقال غيره هو جبريل صلى الله
عليه وسلم تترجم الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمد قيل راى ربه
وقيل راى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي يتهم
من قراه بالضاد فضاد ما هو بجميل بالدعاية والله ذكيره بحكمه

وصل

وجل وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال الله تعالى ن والقلم الايات
اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قدره على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم
مما لم حسنه الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله فحسبك
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الاداب في المجاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير
منقطع لا يناله عد ولا يمين به عليه تعالى وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تفخيما للتعجيد
وتقرير الشان تاكيد تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لله همة الا الله قال الواسطي اثنى
عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه
جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الخبير المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما احسن
قوله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم فيه هذا بما وعده به من
عقوباتهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف
ليعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة
من خصال الدم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين
ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقاويه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت بضرته الله له اتم من بضرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جملته عليه السلام مورد الشفقة والرا

قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمايه
عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل
هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل
هو امر من الوطء والمعنى كناية عن الامر اي اعتمد على الارض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك
القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت

كلام

قال ثنا ابو داود الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خريم الشاشي
قال ثنا عبد الله بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى
فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
ولا خفايا في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمايه
عليه السلام كما قيل وجعلت كما حق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط
الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غيظا او غيظا او جزعا ومثله
قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشا ننزل
عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله
تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزي برسل
من قبلك الاية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
واعلمه ان من تاذى على دلك جل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه الله بما اخبره به عن الامم السالفة وبقالها لانبيايهم قبله وختم السم
بصم وحلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة والله لبين اولى لنبي
ذلك ثم طيب لقلبه وابانه عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض
عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت والبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في اي كثيرة من هذا المعنى ٭٭٭

الفصل السابع فيما اخذ الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبيا وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
قال ابو الحسن الغابسي استخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم لفضل
لم يؤته غيره ايا خذ به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وليتبعنه ولتؤمنه

واخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم الخطاب لاهل
الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى
الله عليه وسلم ليؤمنن به وهو حي ليؤمنن به وليبصرنه وياخذ العهد بذلك على
قومه وكذا عن السدي وقتادة ابي فقضيت فضله من غير وجه واخذ
قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال لي كلام يكي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
انت والي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا
وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بابي انت والي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اهل
النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون فيقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث فحلت وتم ذكره
متقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ
الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع
بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود
واحلت له الغنايم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن تفضله ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء
عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي
على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل الهاء تعود على
السلام **الفصل الثامن** في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه
وملايكته له وبرفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

ولقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مومنون الاية فلما هاجر
المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون الي وهذا من
ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرارة العذاب علي اهل مكة بسبب
كونه بينهم كون اصحابه بعيدة بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط
المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم نبيهم فيهم وان ثم اناسا يضمهم ودياركم
واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الحسن
الصيمري في حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا بن نمير عن اسماعيل
ابن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي سعدة عن ابي موسى عن
ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي
امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه تاويله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي
فاذا ذهبت اتى اصحابي من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله
عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش ودامت سنته باقية فهو باق
فاذا اميت فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية بان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم
بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
وقد حكي ابو بكر بن فورك ان بعض اهل الاشارة قال قوله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلاة علي هذا اي في صلاة الله علي وملائكته
وامره اللائمة بذلك اليوم العظيمة اي والصلاة من الملائكة استغفار
ومنا له دعاء ومن الله تعالى رحمة وقيل يصلون بمعنى يباركون وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص اذا الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال الله تعالى
اليس الله بكاف عبده والهاء هادية قال ويعقوب صراطا مستقيما
وايانا بيده قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله

يعصمك

يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على
النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اي وليه وصالح
المومنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المومنون
علي ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كرامته قال
الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اي فوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه
الايات من فضله والثناء عليه وكرم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن الاتيان اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء
المبين بظهوره وغلبته علي عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مقصور له غير
مواخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي
انك مغفور لك وقال بكي جبل الفتنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا الة
غير ذلك بعد فتنة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته بخضوع متكبري عدوي له وفتح اهم البلاد
عليه واجمالة ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة
والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته علي امته المومنين بالسكينة
والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بمالهم بعد وفورهم العظيم
والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة وانعمهم
وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته علي امته
ليقسمه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لاهل
الثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعقاب وقيل محرزا من هذه
الضلالات ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه
اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يثنا لعون في تعظيمه وتوقيره اي تعظموه
وقرا بعضهم تعزروه بزاين من العز والاكبار والاظهار ان هذا في حق محمد
صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فمذا راجع الي الله تعالى قال
ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة انعم مختلفة من
المنح المبين وهو من اعلام الاجابة في المغفرة ومن اعلام المحبة وتمام
النعمة ومن اعلام الاخلاص والاختصاص والهداية وهي من اعلام
الولاية فالمغفرة تبريه من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة

والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة • وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه وافتتح كتابته وشرح به شبابه غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه بني الشراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا يسيد قادما وفوق ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل نواياهم وقيل منته وقيل عقدة وهذه استعارة وتخييل في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولا نسبة في قدرة البشر بتوصيل تلك الربية حيث وصلت حتى لم يبق ممتنع من لم يمكنه تبيينه وكذلك فتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخيرة انها على المجاز العقلي ومقابلة اللفظ بما سبقه اي ما قتلتموهم اذ قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصبا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منعه الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر** فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما قصه تعالى من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بعد قوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله تعالى به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تخويفهم اهلكه وخلوصهم سالما في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه • وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير

في قصة

في قصة الغار وحديث الهجرة • ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر • ان شانيك هو الابتر • اعلم ان الله سبحانه اعطاه الكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانيك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر المحقير الذليل او المنفرد الوحيد او الذي لا خير فيه • وقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور هي الطوال الاولى والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم • وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك يا محمد القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرمات • الهدى • والنبوة • والرحمة • والشفاعة • والولاية • والتعظيم • والسكينة • وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا • وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية • قال الفقيه القاضي رضي الله عنه فهذه من خصايصه • وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى هو النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انقذه بينهم من امر فيمضي ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده • وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم تعبدة تكرمة له وخصوصية ولا يحل له ان يتزوج في الاخرة وقد قربي وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف • وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق لهم في الازل كما اشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الدونية للتي لم يجعلها له موسى صلى الله عليهما • • • •

في

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه فنقول صلى الله عليه وسلم اعلم
ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل
قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري ودنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويقرب الى الله تعالى ثم هي على قسمين ايضا منها ما يختلص
لاحد الوصفين ومنها ما يمتزج وقد اخل فاما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذايه ونومه
وملبسه ومسكنه ومكسبه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق
هذه الخصال الاخيرة بالاختيارية اذا قصد بها التقوي وعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقد ابين الشريعة
واما المكتسبة الاختيارية فسايرالاخلاق العلية والاداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة والصمت والتؤدة
والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي
بجماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكسبها ولكنه
لابد ان تكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان
شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دينية اذا لم يرد بها وجه
تعالى والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضايل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها ونقصد لها
فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين اذا اتفقت له في كل عصر
اما من نسب او جمال او قوم او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى
يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة عظيمة وعظمة وهو منذ عصور خوال ورحم بوالدنا فكيف بمعظم

قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال اني ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه متعال
ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا والاسرا والرويه والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبيا
والشهادة بين الانبيا والامم وسيادة ولد ادم ولوا الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطا الرضا والسوال والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر وتزول السكينة والتاييد بالملايكة واتيا
الكتاب والحكمة وجميع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا
الى الله بتاني وصلاة الله والملايكة والحكم بين الناس بما اراك الله
ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم
الجمادات والعجم واحيا الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابرا الاكمه والعمه
من الناس الى ما لا يجويه محتمل ولا يحيط بجمله الا من حده ذلك ه
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعده له في الدار الاخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي يقف
دونها العقول ويحار دون ادايها النوهم فصل ان قلت
اكرمك الله لا اخا على التظم بالجملة الذي صلى الله عليه وسلم اعلا الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا خاصا على نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حايزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الاخبار له لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
اما الصورة وجمالها وتناسب اعضايه في حسنها فقد جات
الاخبار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك

وابي هريرة وكالبراء بن عازب وعايشة ام المومنين وبن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وبن عباس ومعرض بن حبيب وابي الطفيل
والعداء بن خالد وحريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه
وسلم كان ازهر اللون ادعج اكحل اشكل اهدب الاشفار الجع ازج افنا
اقنى مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سوا البطن والصدر
واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المتجرد
دقيق المسربة بعد الغد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن بماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر اذا افترضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يجن من ثناياه احسن الناس ثغرا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت
من ذري لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر بن
سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال
لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته
به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث بن
هالة يتلالا وجهه تلالو القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في
احسن وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط
صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه لكن
ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في المطلوب ان شا الله وحشنا
هذه الفصول بحديث جامع لذلك نقف عليه هنالك ان شا الله

حديث

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه وتراهته
عن الاقذار وعوارات الجسد فكان قد حضه الله في ذلك بجملة لم
توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشرة
وقال بعض الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغيره وكلهم
قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا

نا بن سفيان نا مسلم قالوا نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن ثابت
عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطاره
قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يعرف المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دارنا فعرق فجات امنا
بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه ذكر بن اسحاق بن راهوية
ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى
البخاري عن جابر اراد فتى النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت خاتم
النبوة بنى فكان يشم على مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره
وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان ينبوط الشعث
الارض فانبعثت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى
الله عليه وسلم واسند محمد بن سعيد كاتب الواقدي في هذا خبرا
عن عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا ارى
منك شيا من الاذى فقال يا عايشة اوما علمت ان الارض تبلع
ما يخرج من الانبيا ولا يرى منه شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر
وقد حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم
من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
منه شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه عشت
النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الطيب فلم اجد شيا
فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت ريح طيبة لم اجد مثلها قط
ومنه قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم

بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه ونشق
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن يصيبه النار ومثله شرب عبد
الله بن الزبير دم حجامه فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس
وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت
بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم
بغسل فم ولا انهاهم عن عودهم وحديث هذه المراة التي شربت بوله
صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم
هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم
النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فجاء فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسالني بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روي حديثها ابن جريج وغيره وكان النبي صلى
الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة
وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسل
عيني فانه لا يري احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع
له غطيط ثم قام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه
وسلم كان محفوظا فصل واما وفور عقله وذكائه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه كان
اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره وامر بواطن الخلق وظواهرهم
وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما
اختصه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ما رسته
تقدمت ولا مطالعة لكتب منه لم يعثر في زمان عقله وثبوت
فحمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه وقد قال
وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية
اخري فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدا
الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقل النبي صلى الله عليه وسلم

الاحبة ومل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يري من خلفه كما يري من بين يديه
وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلام
انه قال اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس بن مالك في الصحيحين
وعن عايشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله ايا ها في حجته
وفي بعض الروايات اني لا نظر من وراي كما انظر اني من انظر من بين
يدي وفي احري اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يديّ
وحكى القتبي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى
الله عليه وسلم يري في الظلمة كما يري في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة
في رد بيد الملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وقد
مات بالحبشة وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين
بني مسجده وقد حكى عنه انه كان يري في الثريا احد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رويته العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره
وذهب بعضهم الى رد ها الى العلم والظاهر خلافه ولا حالة في
ذلك ومن خواص الانبيا وخصايصهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المغربي الغرغاني قال
حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي
ابن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد
ابن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن موزوق حدثنا هدام حدثنا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن دثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان
يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد
على هذا ان يخص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب
بعد الاسرا والحظوة مما راي من ايات ربه الكبري وقد جات الاخبار
بانه صلى الله عليه وسلم صنع زكانة اشد اهل وقته وكان دعاه
الى الاسلام وصارع اباركانة في الجاهلية وكان شديدا دعاه
ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوي له انا لنجهد انفسنا وهو

غير مكترث وفي صفته انه متحكك كان بيسما واذا التفت التفت معا واذا مشى تقلعا كانما يحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل مع سلامة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها وحاورها بلغتها وبيارديها في منزع يلاعبها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز وبخد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطريفة الهند وقطن بن حارثة العبلي والاشعث ابن قيس ووايل بن حجر الكندي وعبزهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الي همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علاتها وترعون عفاءها لنا من رفشكم وضرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الراجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصنايع والقارح وقوله لهند اللهم بارك لهم في محضها ومحضها ومذقتها وابعث راعيها في الدش والجش وبارك لهند في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني همدان ودايع الشرك ووضايع الملك لا تخلطوا في الزكاة ولا تعملوا في الحياة ولا تغافلوا عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الغريضة وكم الفارض والفريضة وذات الفاب الركوب والحلوب الشنيشن لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يعيس ذركم ما لم تضمروا عاهة الهمات وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارؤع المشاييب وفيه من البهمة شاة لا مصرورة الاليات ولا ضناك وانظر الشجة وفي السيوب الخمس ومن تمائم تكسر فاصفوه ماية واستوفوه عاما ومن زنا من ثيب فضربوه بالاضاميم ولا توصيم فيه لدين ولا تعطيله في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يوقل على الاقيال ابن هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هو لهجي هذا الخلد

وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استغراقهم هذه الالفاظ استغلالها فجعلهم يبينون للناس ما نزل اليهم ويحدث الناس بما يقولون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلما ارسول الله صلى الله عليه وسلم للفتنا وقوله في حديث العامري حين سالته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد اثبت الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما لا ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطيون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله اهله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وينهى عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووا د البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيية الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله اظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعايه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد علي بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك الغنيمة في القضا ونزل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا اني ما وده الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وداد عيينة ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك من رتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبها

كقوله حيّي الوطيس • ومات حتف انفه • ولا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين •
والسعيد من وعظ بغيره في احواله ما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب الفكر في ادائي حكمها • وقد قال له اصحابه كما رأينا الذي هو
اصحّ منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة احزى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم فوق غارصنة البادية وجزالتها وفصاحة الفاظ
الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري • وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق •
فصل لا نذر ولا هذر وكان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم **فصل** قال رضي الله عنه
واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشأه فما لا يحتاج الى اقامة دليل
عليه ولا ببيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة
بني هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف وافضل العرب واعزهم
نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة التي هي اكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده **حدثنا** قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي حدثنا
القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر وعبد بن احمد حدثنا
ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
ابن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون
بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه • وعن
العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من
خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا • وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل
بني كنانة • واصطفى من بني كنانة قريشا • واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم • قال الترمذي وهذا حديث صحيح •
وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم •

قال

قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار بني آدم •
فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من
خيار ألا من احب العرب فبحبي احبهم • ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم
بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى
آدم القى ذلك النور في صلبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط •
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي
صلى الله عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما ندعوا اليه ضرورة
الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة اضرب • ضرب الفضل في ذاته
وضرب الفضل في كثرته • وضرب تختلف الاحوال فيه • فاما الفضل
والكمال بذاته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
ولم تزل العرب والحكماء تمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم • والشره والحرص وغلبة الشهوة مستعيذ
لضار الدنيا والاخرة جالب لاداء الحسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الغفلة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة
العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة فمتنقل
متواتر من كلام الامم المتقدمة والحكماء المتألهين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث وانا من سلف وخلف مما لا يحتاج
الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا
ما يدفع من سيرته وهو الذي امره وحض عليه لا سيما بارتباط
احد بطنيه الاخر **حدثنا** ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه

حدثنا ابو الفضل الاصفهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن
احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية
ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ملا بن ادم وعاء شرا من بطنه
حسب بن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه • ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب
قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لانا كلوا كثيرا فناموا كثيرا فخسروا كثيرا فتحسروا كثيرا
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام
اليه ما كان على ضغف اي على كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله
لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه • ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل •
وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث بحديث بريرة وقوله
السواك مرضاة فيها لحم • اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحتمل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه
مع علمهم انهم لا يستاثرون به عليه فصدق عليهم ظنه وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية • وفي حكمة لقمان
اذا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة • وقال محنون لا يصلح العمل من ياكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكيا •
والاتكاء هو التمكن والتقعد في الجلوس كالمتربع • وشبهه من تمكن
الجلسات التي يتمدد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة
يستدعي الاكل ويستكثر منه • والنبي صلى الله عليه وسلم انما كانت
جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا • وليس معنى الحديث في الاتكاء
الميل على شق عند المحققين وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنى لهضم والقلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينيذ لميلها الى الجانب الايسر ويستدعي ذلك

الاستغفار فيه والطول واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتبع
المدح بكثرته والتخير بوفوره كالنكاح والجاه فاما النكاح فمتفق فيه
شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التناكح بكثرته
عادة معروفة والتناكح به سيرة قاضية • واما في الشرع فسنة
ماثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها
نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم •
تناكحوا تناسلوا فاني مباهي بكم الامم يوم القيمة • ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين بنيه عليهما بقوله صلى الله عليه
وسلم من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى
لم يره افضل فيما يمتدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب
الى سيد المرسلين فكيف تزهد فيما حبب اليه وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير واحد ان يلقى الله
عز وجل عزبانا قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل
وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى مثل من النساء ولو كان كما
قررتم فنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصورا ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبا ولا ذكر له بل قد انكر هذا احذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق هذا بالانبياء
وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل
ما ينافي نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوات النساء فقد بان
لك بهذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها
موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كيحيى واما بكفاية من الله كيحيى فضيلة
زايدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات خاطة الى الدنيا ثم هي في حق
من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وحي ورتبة شريفة عليه السلام التي لم يشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتخصيصهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهذا يته ايا هين بل صرح ابنا ليست من خطوط مبياه ملوان

كانت من حظوظ دنيا غيره قال حبب الي من دنياكم ثلاث فذكر ان حبه لما
ذكر من النساء والطيب الذين من امور دنيا غيره واستعمالة ذلك ليس
لدنياه بل لاخرته لما ذكرنا من الفوائد التي ذكرناها في التزويج والنفا
الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه
وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وفتح شهوته وكان حبه الحقيقي
مختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين
الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد
سادي يحيى وعيسى في كفايته فتنقص وزاد بفضيلة في القيام بحق وكان
النبي صلى الله عليه وسلم من اقدر على القوة في هذا واعطى الكمية منه
ولهذا ابيح له من عدد النحو برما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس
ان صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي ورويي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه السلام
قوة اربعين رجلا في الجماع وسئله عن صفوان بن سليم وقالت سلما
مولاة طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه بغسل واحد فقيل ان يا نبي احدث
واحدة قبل ان يا نبي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسعة وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ما اية رجل
وكان له ثلاث مائة امراة وثلاث مائة سرية وحكى النقاش
وغيره سبعمائة امراة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود عليه
السلام على ما هذه والكل من عمل يده ينعم وتسعون امراة وتسع وتسعون
اوربا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى الا هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على
الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش صلى الله
عليه وسلم قال واما الجهاد فمحمود عند الفقهاء عادة ويقدر جاهه
عظيم في القلوب وقد قال الله تعالى في صفته عيسى عليه السلام ووجيها
في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة مما محض انفاس بعض الناس لعيسى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضدهم ومدح في الشرع مدح الخمول وذم
العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة

في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وسلم يكد يونه ويودون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم عظموا امره
وفضوا واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يهابه
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رات ارعدت من
الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان
رجلا قام بين يديه فارعد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث وامما عظيم قدره بالنبوة وشرفه
منزلته بالرسالة واثاقه رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامره
هو بلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا
الفصل نظمنا هذا القسم فصل واما الضرب الثالث فمنه ما
تختلف الحالات فيه في التمدح به والتناحي بسببه والتفضيل لاجله
ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكين اعراضه بسببه والافلسي فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه مشتغاله في حمايته وممماته
من اعتراه واماله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل لكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له عن مواضعه وجوهه حريصا على جمعه عادت كثرته كالعدم
وكان منقصة في صاحبه ولم يبق به على حده السلامة بل وقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة البخالة فاذا امتدح بالمال وفضيلته
عند مفضل ليست لنفسه وانما هو المتوصل به الى غيره وتصريفه
في مصارفه فجاء مما اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه عيني
علي بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو
فقير ابدا عيي واصل الى غرض من اعراضه اذا ما بيده من المال
الموصل اليها لم يسلط عليه فاسبه خازن مال غيره ولا مال له
فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق غني علي بتحصيل فوايد المال
وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر بصيرة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وخاطبه في انك تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد

واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه بني حباله بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبل اليه من
اهلها وجزيتها وصد قاتها ما لم يجب للملوك الا بعضه وهادنه جماعة
من ملوك الاقاليم فما استثنيني منه ولا امسك منه درهما بل صرفه
في مصارفه واعتنى به غيره وقوي به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا
ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لدين وانثه دنانير
مرة فقسمها وبقي منها بقية فذهبنا لبعض نسايه فلم ياخذه نوم حتى
قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة
عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومكنه على ما تدعوه ضرورته عليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكبا
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبيه الديباج المحوصة
بالذهب ويرضخ لمن لم يحضر اذا اباها هادى الملابس والتزين بها
ليست من خصال المتزهد والجاد له وهي من سمات النساء والمحمود منها
تفاوت الثوب والتوسط في جنسه وكونه ليس مثله يزري بمستعمله لمروءة
جنسه مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين فقد ذم الشرع ذلك وغاية
التخير فيه في العادة عند الناس انما تعود الى التخير بكثرة الموجود ووفور
المال وكذلك النبا هي بجودة المسكن وسعته المنزل وكثير الاية
وخدمه ومركوبانه ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك
زهدا او تقريبا فموجب لتفضيله المالينه وعالك التخير بهذه الخصلة
ان كانت فضيلة زايدة عليها في التخير وسرق في المدح باضرابه
عنها وزهده في فايتها في مضافها فصل قال القشيري
الكاتبي واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة
التي اتفق جميع العقلا على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه والنبي الشرع على جميعها وامر بها وحث
السعادة الدايمة المتعلق بها ووصف بعضها بانه من اجزا النبوة وهي السماة
بحسن الخلق وبلوغ الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيما دون
الى مخرج اطرافها جميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على
الاتم فيها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك وانك
لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران يرضى

برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قالت انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن
الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره
المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته وادل فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا بمرياضة الا بجودة الالهية وخصوصه ربانية وهكذا السابر
الانبيا عليهم السلام ومن طالع سيرهم متدصبا هم الى مبعثهم خفق ذلك
كما عرف من حال عيسى عليه السلام بل عرفت فيهم هذه الاخلاق
في الجملة واودعوا العلم والحكمة في العظم قال الله تعالى واتيناه
الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه
وقال عمر كان ابن ستين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال الله لم اخلق وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق
بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه
وقيل صدق وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله فاما لا تحزني على قراءة من حمل ان تحتها
وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه اني عبد الله
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقد قال تعالى فهمناها
سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب
في قصة المرجومة وفي قصة النبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى
الطبراني ان عمره كان حين اوتي الحكم اثني عشر عاما وكذلك قصة
موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله
تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عطا اضطفاه قبل ابدا خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل
ان الذي ابراهيم في الناد ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا
اسحاق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب
والشمس والقمر كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الله الى
يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بما قاله في الجب بقوله تعالى واوحينا

اليه لتشبثهم بامرهم هذا الاية الي غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكي
اهل السير ان امنة بنت وهب احبرت ان ابنها محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد حين ولدته ساطعا يديه الي الارض رافعا راسه الي السما وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات اغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم
اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
لشر حتى اكرمني الله بنبوته وتتراد فتحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في
قلوبهم حتى يصلوا العناية ويبلغوا باصطفا الله تعالي لهم بالنبوة في هم
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون مماوسته ولا مرياضة قال
الله تعالي ولما بلغ اشده واستوي اتيناه حكما وعلما وقد يجد غيرهم
يطبع علي بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالي كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
علي حسن الشمائل والسيما مما وصدق اللسان او السماحة وكما يجد بعضهم
غلبي ضد هذا بالاكتساب بكمال نفسها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويستدل مستخرفها وباختلاف هذين الحالين تتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما تختلف السلف فيها
هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة فحكي الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وعن يزيد بن الهيثم وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روي سعد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لكل الخلال قد يطبع عليها المومن الا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراة والجبن
غرايز يضعها الله حيث شا وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة الجميلة كثيرة ولكن نذكر اصولها ونشير الي جميعها ونحقق وصله
صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالي فصل واما فضل
من وحمها وعنصرنا بيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة وبانفراج عن هذا تنقلب الراي وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر في العواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير وافتضاح الفضايل وتجنب الرذايل وقد
اشرنا الي مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم
يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق

عند

وقف محمد بيك بجامعه

عند من تتبع مجاديها حواله واطراد سيره ومطالع جوامع كلمه وحسن شمايله
وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه ما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكما وسير الامم الغابرة وايامها وضروب الامثال وسياسات الانام
ونقاوح الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الي فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلام النبي صلى الله عليه وسلم قدوة واشاراته حجة كالعبارة
والطب والحساب والفرايض والنسب وغيرها لذلك ما سننبيه في موضعه
ان شا الله تعالي دون تعليم ولا دراسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا
الجلوس الي علمايهم بل هو شي الهي لم يجر لبشي من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان اسره وعلمه وافاده لعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله من ورقة
وبالبرهان القاطع علي نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد
المفتعلة اذ مجموعها مما لا يحد ولا يحصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الي سايرما علمه الله واطلعه
عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال
الله تعالي وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
حارت العقول في تقدير فضله وحزنت الالسن دون وصف محيط
بذلك او بنهايته اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع
القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان العلم حالة
توقف وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عن
الامور الموذيات وسلمها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو
ترك المواخذة وهذا كله ما ادب الله نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت عليه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى
اسال العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وقال له واصبر
على ما اصابك وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
وليعفوا وليصفحوا الا يحبون وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وله خفايا يعز من حلم واحتمله فان كل حليم قد عرفت منه
زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذا
الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد

الله محمد بن علي الثعلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر
ابن واخد القاضي وغيره حدثنا ابو عبيبي حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى
ابن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم
احد شق ذلك على اصحابه شد يدا فقالوا لو دعوت الله عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لبعض كلامه يا بي انت وامي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه انظر الى ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم ينتصر صلى الله
عليه وسلم بالسكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم استغفر عليهم ورحمهم ودعا
لهم فقال اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال انهم لا يعلمون ولما قال له ذلك الرجل
اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين
له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قاله له وعدل ممن يعدل اذا لم
اعدل قد خبت وخسرت ان لم اعدل وهمي في اراده من اصحابه قتله
ولما تصدى له عروة بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه
وسلم مضطجع تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى
الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه
فحاق قومه فقال حبيتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره وسبق
العفو عنه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها عليها

الصحيح

الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ ليبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله
ابن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جملته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي بردايه جذبة شديدة حتى اثرت
حاشيته في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال
الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك وامر له بعطاء وقال لا احمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اين مال الله وانا عبده ثم قال
وبقياد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم لانك لا يكافي السيئة
السيئة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على
بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن
حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
وما ضرب خادما ولا امراة وجي اليه برجل فقيل هذا اراد ان تقتلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله لئن تراجع لن تراجع ولوارت
ذلك لن تسلط علي وجاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا
عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له وقال الكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا احوج يا عمر الى غير هذا منك احوج يا عمر ان امرني بحسن التقاضي
وامره بحسن القضاء ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر
بقضيه ماله وزيد عشرين صاعا لما روعه فكانت سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول لم يبق من علامات النبوة شي لم اعرفه قد عرفتها
في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة
الجهل عليه الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث
عن حلمه وصبره وعفوه عند القدرة اكثر من ان تاتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا
يبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذاة الجاهلية ومصابرته

الشدايد الصعبة منهم اني ان اظفرني الله عليهم رحكمت فيهم وبهم لا يشكون
في استيصال شافتهم واباحة حضراتهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول
كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية
وقال لابي سفيان وقد سبق اليه بعد ان جاء الاحزاب وفشل
عبد واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك
واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود
والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد يفرق بعضهم بينها
بغير وقد جمعوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ويقعد
وسموه ايضا حرية وهو ضد البخالة والسماحة التجافي بما يستحمد
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق
ويجب اكتساب ما لا يجمل وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى
الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى ويمدا
وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو الهيثم الكشميهني
وابو محمد السرخسي وابو اسحاق الينبي قالوا حدثنا ابو عبد الله محمد
المؤتمن حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن
ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول
ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس
وصاحل مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير واجود ما كان شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبريل اجرى بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه
ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل
واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى

الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك لتحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سبيا يها وكانوا ستة الاف واعطى العباس
من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الفا درهم فوضعت على
حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاء رجل
فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءني شيء قضيناه فقال
له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لم تقدر عليه فكره النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا
تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر
في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن سعد بن عفرا
انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا
واجر بن غب يريد فنا فاعطاني ملاكفه حليا وذهبا وقال انس
رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد وعن ابي
هريرة رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف
له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه
فاعطاه وسقا وقال نصفه فقضانا ونصفه نايل وقد قال لبوعلي
الدقاق من شيوخ المتفوقة المشاهير وعلمايهم المتحاورين وتكلم في الفتوة
وهو غاية الكرم والايثار على رايهم واصطلاحهم في الفاظهم ان هذا
الخلق لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في الامة
يتولد نفسي نفسي ويقول هو امتي امتي والحبيب بجوده وكرمه اثير صلى
الله عليه وسلم فصل واما الشجاعة والبخدة فالشجاعة
فضيلة قوة للغضب وانقيادها للعقل والبخدة ثقة النفس عند
استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون تخوف وكان صلى الله عليه
وسلم سماها بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفي الكفاة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
ولا يتجاع الا وقد اغضبت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا
ابو علي الجياني فيما كتب به الي قال حدثنا القاضي سراج حدثنا
ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسماعيل حدثنا بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي
اسحاق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر • ثم قال
لقد رايته على بغلته البيضا وابو سفيان بن الحارث اخذ بلجامها والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • قيل
فما رؤي يوم هذا احد كان اشد منه • وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار
ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها اذا اسرع وابو سفيان اخذ
بركابه فنادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان المسلمون الله صلى الله عليه
وسلم اذا غضب ولا يغضب لانه لم يتم الغضبة شيء • وقال بن عمر رضي
الله عنهما ما رايت ايتم ولا اجود ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويرعوك
اشد الباس واحمرت الحدق اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ به
النبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو ولقد بدنا منه • وعن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا • وقالت
عمرة بن الحصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
وما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا •
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين اقتدى يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير واعنه تطاير الشعر عن ظهر
البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه

طعنة

طعنة نزل بها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف
في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاعضاء فالحياء رقة تعتري
وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله
والاعضاء التفاعل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اشد الناس حياء واكثرهم من العورات اعراضا قال الله سبحانه وتعالى
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية • وحدثنا ابو محمد
ابن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسين القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا شعبة
عن قتادة قال سمعت عبد الله بن ابي انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة
رقيق الظاهر لا يشاء احد ان يكرهه حياء وكرم نفس • وعن عائشة
رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكره
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروي انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم لهذا يغسل هذا ويروى ينزعها
قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا الكلام عن الغواة من رواية
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وروي عنه
عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان
يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن
عشرته واداؤه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام •

كان اجود الناس صدرا • واصدق الناس لهجة • واليمنهم عريكة واكرمهم عشرة •
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي بجاه نيه وقرأته علي غيره قال
حدثنا ابو اسحاق الخيال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام بن مروان ومحمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم
حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن
اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال ازارنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وذكر قصة الي ان قال فلما اراد الانصراف قرب
اليه سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال لي اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفي حديث احر اركب امامي فصاحب الدابة
بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يرفعهم ولا يبغضهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا
خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول • وقد وسع
الناس بسطه وخلقه وصاروا له اصحابا وصار عنده في الحق سواء لهذا
وصفه بن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي •
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي وما قال لشيء صنعته لم
صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان
يداعب اصحابه ويخالطهم ويجالسهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره •
ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المريض في اقصى المدينة

ويقبل عذر المعتذر وقال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن النبي صلى
الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه • وما اخذ
احد بيده ويرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم تمتد قط ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير
قط ماد اليه بين اصحابه حتى لا يضع ركبتيه مما على احد يكرم من يدخل
عليه ويرما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه
بالجلوس عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم اليهم تكرمة
لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فينقطعه بنهي او قيام
ويروي بانثنا او قيام ويروي انه كان لا يجلس عليه احد وهو يصلي
الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية
الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريد وقت
البرد • فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق
فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف
رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم
من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمايه فقال
بالمؤمنين رؤف رحيم • وحكى مخرم ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه
ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين
ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفاسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابراهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابن
ظاهر حدثنا ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية ماية من الغنم ثم ماية
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد
اعطاني ما اعطاني وانه لا بغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي • وروى ان اعرابيا جاءه يسأله منه شيا فاعطاه

ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا
اليه فاشار اليهم ان كفوا عنه ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده
شيأ ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي
من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزعم
انه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة فشردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا • فناداهم صاحبها خلوا
بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها فتي منكم واعمل فتوجه لها بين يديها
فاخذ لها من قمام الارض فمودها حتى جاءت واستناخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتم حيث قال الرجل ما قال
فقتلتموه دخل النار • وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيأ فاني احب ان اخرج وانا
سليم الصدر • ولما شفقته على امته تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته
اشيا مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وحثه كل صلاة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته حول الكعبة لبلا بيت امته ورغبته لربه ان يجعل سيد
ولد عدنان رحمة لهم وانه كان يسمع بكا الصبي فيجوز في صلاته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وشاهده قوله ايما رجل سببته
او لعنته فاجعل ذلك زكاة له ورحمة وصلاة وطهورا وقربه تقربه
بها اليك يوم القيمة ولما كلمه به قومه اتاه جبريل فقال له ان الله قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وروي
المنكدر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر الارض والسما
والجبال ان تطيعك فقال قولي عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت

عائشة

عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا فيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل

واما لطفه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو علي محمد بن اسماعيل بقراءتي عليه قال حدثنا
ابي محمد بن محمد ثنا ابو اسحاق الجبال ثنا ابو محمد بن الخشاب ثنا ابن
الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان قال ثنا ابراهيم
ابن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله ابن شقيق عن ابيه عن
عبد الله بن ابي الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته اذ اتيته بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد
ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا
منذ ثلاث انتظرك • وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اوتي بصدقة قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة • وعن عائشة رضي الله عنها قالت
ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان
ليذبح الشاة فيهدي بها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح
لها ودخلت عليه امراة فحسن لها واحسن السوال عنها فلما خرجت
قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يرى شيأ على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان
لهم رحما سابلها ببلالها • وقد صلى صلى الله عليه وسلم بامامة ابنة
ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن
ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نحن نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني
احب ان اكافئهم ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن
وقد قدت له بسطها رداه فقال لها ان احببت أقمت عندي مكرمة
محببة او صفقت ورجعت الى قومك فاخترت قومها فاطلقها قال
ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذا اقبلت امراة

حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه كان هذه امه
التي ارضعته وعن عمر بن الشريد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
جالسة يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان ببيت ابي في بيته مولاة ابي لهب مرضعته بيصلة وكسوة فلما ماتت
سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد في حديث خديجة رضي الله عنها
انها قالت له ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
وكان اشد الناس تواضعا واعظمهم كبرا وحسبك انه خيرر بين ان
يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم
القيمة واول من تنشق عنه الارض وارد شافع حدثنا ابو الوليد
ابن العواد العتيبي بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع
وخمسمائة قال حدثنا يونس على الحافظ ثنا ابو عمر بن عبد البر قال
حدثنا بن عبد المؤمن ثنا بن ابي دامنة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي
شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي الوداك
عن ابي سرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متكيا على عصا فقمنا له فقال لا تفعلوا كما
تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث
ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى بن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امراة كان في عقلها شيء فجاءته
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس اليها صلى الله عليه وسلم
حتى قضت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على
حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السخنة فيجيب قال وجاء صلى الله عليه وسلم على رجل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة
هذا وقد فتحت عليه الاردن واهدي له في حجته تلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله راسه حتى يكاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال لله بن كال له يا خير البرية ذلك ابراهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
بين يدي بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويجدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير
ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويطحن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي
هريرة رضي الله عنه قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثبت
الى يد النبي صلى الله عليه وسلم لاقبلها فجذب يده وقال هذا افعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فاخذ السراويل
فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل
واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته
فكان النبي صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة عند كل من اعرفه له بذلك مجاد وعداه وكان يسمى
قبل النبوة الامين قال بن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من
الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين واكثر المفسرين انه

محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتجادلت عند بنا الكعبة فيمن يضع
الحجر احكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا
قبل بعثته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يحاكم ابي النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما وامين في الارض

حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ قال حدثنا ابو كريب قال حدثنا
معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن
علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
غير هذا لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا
جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
فخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله انه لصادق وما
كذب محمد قط وسئل هرقل عنه ايا سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قيل
ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش هل كان محمد فيكم
غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما مست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال
ذو الصبيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
عنه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى اياما فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج
قال بن خالويه ما كان اعلم هم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم جزاه الله تعالى عنا افضل ما جزى نبيا من انبيائه وجزاه عن نفسه
ثم جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة

ويقول الجلوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
امنه الله يوم القزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يأخذ احدا يترف احد ولا يصدق احدا على احد
وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم
ما همت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته
قلت ليلة للغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت فلما جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزاهر فقلت ما هذا فقيل تزوج فلان فلانة فجلست انظر فضرب على اذني
فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم افعل شيئا ثم عرا بي مرة اخرى
مثل ذلك ثم عن لي لم اهم بسوء بعد ذلك

فصل واما وقاره
صلى الله عليه وسلم وصمته وتوده وتمرؤه وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت كتابه قال حدثنا ابو العباس
الدلائي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو
داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي
صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه ولا يكاد يخرج شيئا من
اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه شريح وربما
جلس الفن قضاءه وهو في حديث فيلة وكان صلى الله عليه وسلم كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان
ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحيا وخير واماتة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وكان عبد الله بن
مسعود ان احسن الهدي هديه صلى الله عليه وسلم وعن جابر

ابن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترسل او كان ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده عاد لاحصاه وكان صلى
الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها
ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
وفي مرويته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يليه والامر بالسواك وانقاء البراجم والدواجب
واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد
تقدم في الاخبار وانشا هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهوتها وتدسيسك اليه بجذافيرها وتراد فتك عليه فتزويها الى ان
توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا **حدثنا** سفيان
ابن العاصي والحسين بن محمد الحافظ واللفظ لابي ذر قالوا ابو عبد الله التميمي قالوا
حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قالوا حدثنا ابو احمد
الجلودي قال حدثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو
بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود
عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعا من خبز شعير حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من
خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله لغالي ما لا يخطر ببال
وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر
حتى لقي الله وقالت عايشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث
محمد بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت
عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيته شيء ياكله ذو كبد الا شطر
شعير في رف لي فاكل مني فكاله ففني فقلت
لايوب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع
اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك
وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام

ويقول

ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا فتكون معك حيث ما كنت
فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال
له تدبرها من لا عقل له فقال جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وقالت عايشة رضي الله عنها ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة رضي
الله عنها وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقد ولا راى شاة سميط قط
وعن عايشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي
مسحا ثنيته ثنيتين فنام عليه فثنيناه له ليلة اربع فلما اصبح قال
ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه كحالته فان وطاءته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى
تؤثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يميل جوف بني آدم
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد قط صلى الله
عليه وسلم وكان الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي
طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه كنوز الارض
ونمارها وغدقها وعيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما اراه به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع وانول لنفسي انك لو تبلغت من الدنيا
بما يقوتك فيقول يا عايشة مالي وللدنيا اخواني من اولي العزم من
الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مآبهم واجذل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفعني في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فاقام بعد الاشهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه
عليه **فصل** واما حق قدره وطاعته له وشدة عبادته تعالى
قدر عليه بره وكذلك قال فيما حدثناه ابن محمد بن عتاب قراءة مني عليه
قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي قال حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا

ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا محمد بن اسماعيل
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابن المسيب ان ابا
هريرة رضي الله عنه قال كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد بني رواية عن ابي عيسى
الترمذي رفعه ابي ذر اني اري ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيها ملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجئرون الى الله
لوددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى تورم قدماه
فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال
افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقالت كنت
لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما
وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاك
ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر باية
رحمة الا وقف ويدعو ولا يمر باية عذاب الا وقف فيتعوذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل
ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن
ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست
له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة
ويروى سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني
والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن
رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر ونزهة
فؤادي في ذكرك وهمي لاجل امتي وشوقي الى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله
عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي في هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اجمعين اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على
بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام انا اول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طولهم ستون ذراعا
في السما وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رايت موسى فاذا هو
رجل ضرب رجلا قمئي كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل
ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانه خرج من ديماس يعني مسبطن مسترخي
السبيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة
موسى كان ما انت راي من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا
الا في ذروة من قومه ويروى ثروة ابي كثرة وسعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه
وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن
نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب هـ
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال
تعالى انه الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال ان الله اصطفى

وقف محمد بيك جامعه

الجامع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى وانا لداود الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده فيعينه على بيت المال وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح ويمزج شرابه بالدموع ولم يرض هذا بعد الخطيئة ولا شاء حتى صار في السماء حيا من ربه ولم يزل باكيا حيا نهارها • وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده حدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرة قومه فلقيهم الشاب عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا تقاتل انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاماكن اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى لما ورد مدين كانت تتبع خضرة البقل في بطنه من الهزال وكان نبينا عليه السلام لغد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقتل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقاله عيسى لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك قال اكره ان اعود لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذا الدمع مجريين في خده وكان ياكل مع الوحش ليلة فجاء الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان ينتظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويشرب فيها اذا اراد ان يشرب كما تشرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واحبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمايل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما يجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الجميلة والفضايل المجيدة وخصال الكمال العديدة وارشدناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وحكينا من الاثار ما فيه تنقيح الامر وسمو بحر علم خصائصه نزاحن لاتكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المسندات وانتصرنا في ذلك على قل من كلت

ادم ونوحا والى ابراهيم وال عمران على العالمين • وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ومن الصالحين وقال قال اني عبد الله اتاني الكتاب واني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء للحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال انه خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله بهداهم اقتده فوصفهم بما وصف جملة من الفلاح والهدى والاجتباء والحلم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى في اسماعيل انه كان صادق الوعد الا يتبين • وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب • وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار وفي داود انه كان اواب • ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب • وقال تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم • وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال في شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين • وقال ما ايدان اطاعكم الي ما اتيتكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما • وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدايم في اي كثير ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الايات كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انا اكرم ابن اكرم بن اكرم بن اكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي • وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس يارا ي العابدين وقرة عين المجتهد الزاهدين وكانت الجن تعرضه وتلوعلى الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف حيث شاء حاجتها وتمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى

وغيض من فيض ورأيتنا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابي
هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا واد ماجه بجملة كافية من سيره وفضائله
ونصله بتتبيعه لطيف عن عن بيه ومشكله حدثنا الفاضي ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الامام
ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه احبركم الفقيه الاديب
ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والفاضي ابو علي الحسن الخراعي قالا اخبرنا
ابو سعيد العيسي بن كليب النسابي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه
قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله
عنها يكني ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
قال سالت خالي عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيا اتعلق به
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالو القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيصته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره وهو اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه

ويجيبه من لم يسأله اشم كث اللحية اذ عن سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفا الفضة
معتدل الخلق بادن متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما
بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعلى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سايل الاطراف او قال سايل الاطراف وساير الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين يتبوا عنهما الماء اذا
زال زال قلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى
كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت صفي لي منطقه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست
له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا بالمهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه اذا تعرض للحق شي ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها اذا اشير اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب باطن راحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب
الغمام قال الحسن فكتمها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني اليه فسأله عما سالته فوجدته قد سأل اباه عن مدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه
شيا قال الحسين سالت ابي عليا عليه السلام عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك
فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزا جزا لله تعالى وجزا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا وكان من سيرته في حق الامة ايثار
اهل الفضل باذنه فتسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة

وسنهم ذوالحاجتين وسنهم ذوالحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة
من مصلحته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا تذكر عنده الا
ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يد خلون
ولا احد ولا يخرجون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فهما قلت
فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحرز لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه
ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين عنده هم
الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده احسنهم نصيحة واعظمهم
عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة فسالته عن مجلسه عما كان
يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى
القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسايه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سال حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا
عنده في الحق متفاضلين يتفاضلون فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى
صاروا عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذا الكلام من غير
الرواية يعني يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحمون الغريب فسالته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم في جلسايه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دايم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوس منه قد ترك نفسه
من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم

احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده
الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في
المنطق ويعرف اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فادفعوه ولا يطلب
الثنا الا من مكافي ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام هذا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف
كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره فيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شي فيستفزه وجمع له في الحذر اربعا اخذه بالحسن
ليقتدي به وتركه القبيح لينتهي عنه واجتهاده الراي بما اصلح امته
والقيام لهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله

فصل في التنبيه على غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اي الباين الطويل في خفة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس
بالطويل المهذب والشعر الرجل الذي كان سبط في تكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد والعثنونة شعر اللحية اذا انفرقت من فاة
تعهدها فرقها والاثرم امعقوصة ويروى عثيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر اللون حسن وسنن زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا
كما قال في الحديث ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع
البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب
اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والافنى السايل
الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قضيبة الانف والقرن التقاء
شعر الحاجبين وفند اليلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر شكل العين والشكل
العين وهو الذي في بياضها حمرة والصليم الواسع والشنب رقة
الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحديد فيها كما يوجد في اسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا وفيل المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة يادن ذو لحم وتماسك معتدل الخلق يمشك بعضه

بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمستدير اللحم والمكلثم القصير الذقن وسوا البطن والصدر اي مستويهما ومسيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاميال وهو احد معاني اشاج اي انه كان بين الصدر ولم يكن في صدره تقعس وهو نتوء من فيه وبه ينفسح قوله قبل سوا البطن والصدر اي ليس بناعس الصدر ولا مقاعس البطن وقولها للفظة مسيح بالتيحين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والاوا ليس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحمهما كما بين في الحديث وسئل الاصمعي عن عظام المذارعين وسايل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سايل الاطراف اوكما ك ساين يا النون قال وسما بمعنى يتدلك اللام من الون ان صحت الرواية فيها وامّا على الرواية الاخرى وسايل الاطراف فاشارة الى نحافته جوادة كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعهما وقيل كثير عرض سعة المقطا والجود خمصان الاخمصين اي منجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال يتبوا عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطيء بقدميه وطيء بكلتيهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قال من سمي المسيح بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لاخم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بسرعة والتكفو الميل الى شيئين المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان فيه وجليه بسرعة ويده خلوه خلاف مشيه المختال ويقصد سمته وكل ذلك يرفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي بسعة فمه والعرب تتمادح بذلك وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقض وجب الفؤاد الخفق وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من خير نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة لم يبد لها اي جزء احتوى بالعامة ويدخلون رواده اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يشترون الا عنده واق قيل عن علم يتعلمونه ويسئله ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والمقاذ المدة والمنى الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله

لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تنون فيه الحرم اي يذكرون بسوء ولا تثنى فلتاته اي يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة واذا كانت من احد سترت ويرقدون يعبنون والصحاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافي قيل معتصد في ثنايه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافي علي كيد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم له ولا يستفزه ولا يستخفه وفي حديث اخر بني وصفه صلى الله عليه وسلم مهموم العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

يتضمن ما ورد من صحيح الاخبار وسقيمها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني كما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد يذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادته ولادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الزلفى وبركة احمد الحبيب صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا شفاها بلفظه قال نا ابو الحسن الغوغائي حدثنا ابو القاسم ابنة ابي بكر بن يعقوب عن ابيها نا حاتم وهو بن عقيل عن يحيى هو بن اسماعيل عن يحيى الجابي نا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما قد ذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين ثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا النقي والد الرحيم على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث بن عباس
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السلام اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني
اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليركبه اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل لمحمد لتفعل هذا فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن بن عباس عنه عليه السلام لما خلق
الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذفني في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وبن عمر وبن عمر بن ابي هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن
نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل
لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل
هذه انتظارا وقيل لي سل تعطه وفي رواية اختبيت وعرض علي امتي
فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود
قيل السود العرب لان الغالب على الواحد الادمة والحمل العجم وقيل
البيض والسود من الادم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث
الاحمر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا
نايم اذ جيء بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي رواية عيسة
وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرطكم
وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت

مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني
اخاف عليكم ان تنافسوا فيها • وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم
لا بني اعلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن بن عمر بعثت
بين يدي الساعة وعن رواية بن وهب انه عليه السلام قال ان الله
تعالى قال يا محمد فقلت ما اسالك يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من
بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير مما اعطيتهم اكتوثر وجعلت
اسمك مع اسمي بناديه في جوف السما وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك
ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وجعلت
لك شفاعتان ولم اجبا النبي غيرك • وفي حديث الحرر راه خديجة
بشر في يعيش ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني الا تجمع امتي ولا تغلب واعطاك
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من بني من الانبيا الا وقد اعطي
من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحي الله
الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معناه هذا عند المحققين
بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسايرمعجزات الانبيا ذهبت للعين والخبر
يشاهدها الا الحاضرلها ومعجزة القران يقف عليها كل قرن بعد
قرن عيانا لاخبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا المختصر وقد
بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذه في احزاب المعجزات
وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم
صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وبن مسعود
وعمار • وقال صلى الله عليه وسلم اذا هذه حبس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمومنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار • وعن العباس بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعند

الى ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم • وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله علينا قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله علينا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية • وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس الاية وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وذكر دريد نحو عن ابي ذر وشداد بن اوس واسيد بن مالك قال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم • وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا رعى بهما لنا اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراقي بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء نظرجاها ثم غسل قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يجار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر بيده على مغرز صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل قال لقلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال وزنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من فوائدهم ما اكرمك على الله ان الله فعل وملايكته قال في حديث ابي ذر وما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابن محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما انه ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى فتيل توبتي فقال له الله فقال من اين عرفت محمدا فقال رايته في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت

انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قايله تاويل توبته فقابلي فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه الاية وفي رواية الاجري فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لاحب النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكني ابا محمد وقيل بابي البشر ويروى عن شريح بن يونس انه قال ان الله ملايكة سياحين عباد لها كلوا رفيقا احدا ومحمد اكرام معلم لمحمد صلى الله عليه وسلم ويروى بن ذكاح القاضي عن ابي الحمرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي النقشبي عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي لا اعذب من قالها • وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد نبي مصلح وسيد امين • وذكر السطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان حوالي لؤلؤا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلي اله حزب محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند ورد الحمى مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله • وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليبغ من امة محمد فليدخل الجنة بكرامة احمد عليه السلام وروي بن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نماء ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة • وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى الثعالبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي وارتد من ارتد من العرب فقالوا لو كان هذا نبيا ما مات وقال بعضهم لا نؤمن ان نكفر اذا جاءه من بعده ابدا الاية قال خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم افضليلة وفضل نسايي على نسايكم فضيلة الحديث •

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا من المناجات والرؤية وما ذكر له الانبيا والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى

ومن خصّها بقصد عليه السّلام قصّة الاسرا وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما بنه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله
المدراي من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه السلام
اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله صلى الله عليه وسلم وشرح عجايبه وخواص نبيّنا
محمد عليه السّلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رايتنا ان نقدم اكملها ونشير الى
زيادة من غيره يجيب ذكرها حدثنا الفاضي الشهيد ابو علي والمقيه ابو بحر
سماعي عليهما والفاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا
ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته
حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل بانا من خمر وانا من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السما فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى
الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما الرابعة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كانه قلال

قال

قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان
ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحي ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم
وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة
قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد
بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف علي
امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان
امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل
يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيية فلم يعملها
لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيية واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ورجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس هكذا
ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا
كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له
وشق بطنه وغسله بما زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقيل الوحي
وقد قال عن شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة
الاسرا وقد خلط فانهما كانتا بعد الوحي وقد قال غير واحد انهما كانتا
قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد
ابن سلمة ايضا مجي جبريل عليه السّلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند طئره وشقه قبله تلك القصة مفردة من حديث
الاسرا كما رواه الناس مجردة في القصتين وفي ان الاسرا الى بيت المقدس
والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم
عرج من هناك فزاح كل اشكاله او همه غيره وقد روى يونس عن
ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل عليه السّلام ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلى حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقته ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة

وزوى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس ايضا واجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادة نذكر منها نكتا مفيدة في عزضنا مما في حديث بن شهاب وفيه قول كل نبي لنبينا حبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق بن عباس رضي الله عنه ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته بيني موسى يبكي فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة هم فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم فرحب قالوا احياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى علي وبه فقال كلكم اثنى علي ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيانا لكل شي وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم وفي حديث بن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة هي المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلي على سبيلك وهي السدرة المنتهى

يخرج

يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي تحرج ليسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملايكة فقال فما قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل تعطه فقال اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وجعلت موسى النوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له وقد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في النوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطيئة حتى ينهدوا ذلك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال الله ما كذب الفواد ما راى الا يرى ان جبريل في صورته له ستمايه جناح وفي حديث شريك اما راى موسى في السما بعد قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس ان الله صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس وذكر الميزان وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكزه بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكن الطاير فقعدني واحدة وقعدت في اخرى فنمت حتى سمعت الخافقين ولو شئت لمست السما وانا اقلب طرفي فنظرت جبريل واذا جالس كالحلس لي فتمرقت فتمثل علم بالله علي وفتح لي باب السما ونظرت النور الاعظم ولطف ولي الحجاب وفرج الدر والياقوت فاوحى الله الي ما شا ان يوحي وذكر الميزان عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل بدابة يقال لها البراق

خطبة

قد ذهب بركبها فاستضعفت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فذكرها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان
هذا لاعلم ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الله الله اكبر الله
اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر اشهد ان لا اله الا
الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا * وذكر مثل
هذا في لفظة الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على
الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فامّ اهل السماء فيهم ادم ونوح
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف
على اهل السموات والارض قال القاضي حاصل ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق
المخلوق لانه حق الخالق محجوب عن ابصار مخلوقاته وابصارهم وادراكاتهم
بما شاء كيف شاء ومتى شاء لقوله جل وعز انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب واذا خرج ملك من الحجاب يجيب انه يعاين انه حجاب محجب
بمن وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته وبدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك
الذي خرج من وراء ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات وبدل عليه قول كيف في تفسير سدرة
المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجيدون ما امرالله لا يجاوزها علمهم
واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او اسرا
مما من عظيم اياته او عبادي حقا بقي معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر
فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او هو لا يراه بحجب بصره
عن رؤيته فان صح هذا القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله
اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسرا بالروح او بالروح
والجسد على ثلاثة اقوال فذهبت طائفة الى انه اسرا بالروح وانه رؤيا

منام مع انتباههم على ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن
الحسن والمشهور عنه خلافه والبه اشار محمد بن اسحق وجنح له تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نائم
في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في احرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن
شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو
دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة
والتمدح بتشريف محمد صلى الله عليه وسلم واظهار اكرامته له بالاسرا اليه
قال هؤلاء ولو كان الاسرا بجسده الى ما زاد على المسجد الاقصى لذكر فيكون
ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زال عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي والحق من هذا
والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسرا بالجسد والروح في اليقظة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى
التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده ما حال بيقظته استحالة
اذ لو كان منامًا لقال برؤح عبده ولم يقل بعبده وقول الله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى ولو كان منامًا لما كان فيه اية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا فيه ولا في رؤيه ضعفا من اسلم وانتقوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لعل منهم الا وقد عاين الفا اعظم
اعاكان عن جسمه وحاله بيقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء
ببيت المقدس في رواية انس وفي السما على ما روي غيره وذكر مجي جبريل
له بالبراق وغير المعراج واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد

ولقابه الانبيا فيما وجنوسهم معه وترجيحهم بوشائه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاحاديث فاخذ بيمني جبريل بيدي فعرج بي
الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وانه وصل سدرة المنتهى ورايه دخل الجنة ورايي فيما ما ذكره قال ابن عباس
رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا منام وعن الحسن قيل
انا جالس في الحجر جاني جبريل فحركني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا
فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني
الى باب المسجد فاذا بدابة ذكر جزا البراق وعن ام هاني ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر ايقظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما
رايت هذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الان كما ترون وهذا يبين لانه بجسمه وعن ابي بكر في رواية شداد
ابن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي اني متقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة واذا املك قايم معه سلات وذكر الحديث
وهذه تصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر
عند صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله بما زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس قال
اتيت فانطلقوا بي الى زمزم ففرج صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي
فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي
اتطلع اليه وعن جابر وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الاسرا عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما حولت عن جانبها

فصل في ابطال الحجج من قال الهاء للنوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رويا قلنا قوله
سبحان الذي اسري بعبده لانه لا يقال في النوم اسري وقوله فتنة للناس
يوجد انها رويا عين واسراء شخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا تكذب بها احد
لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار
متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها

في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير ذلك واما قوله ثم
انما سماها في الحديث منامًا وقوله في حديث احر بين النايم واليقظان وقوله
ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظ فلا حجة فيه اذ يحتمل ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نايم اول حمله والاسرا به وهو نايم وليس في الحديث انه كان
نايمًا في القصة كلها الا ما دل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من
ملكوت السموات وخامر باطنه من مشاهدة الملكوت الاعلى وما راى من ايات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حاله البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه
ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغمض عينيه
ليلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت
صلاته يا لانبيا ولعله كانت له في هذا الاسرا حالات ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيبة النايم من الاضطجاع ويقويه
قوله في رواية عبد بن حميد عن هام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفي
رواية هدبة عنه بينا انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وتركه
في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان يكون سي هيبته بالنوم لما كان
هيئة النوم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن وقعت لوب الواقعة في هذا الحديث انما هي رواية شريك عن
انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان
في صغره عليه السلام وقبل النبوة صلاته قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسرا باجماع كان بعد البعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع
ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمع من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال سمع عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عايشة رضي الله عنها ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة
لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت

غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغريب الذي لا يعلم الا من علمه الله
فقال له تعالى لن تراني اي لن تطيق وله تحتمل رؤيتي لم ضرب له مثلا ما هو
اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وهذا كله ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا
بل في جواز هذا على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها
اذ كل موجود فرؤيته جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله
لا تدركه الابصار ولا اختلاف اننا وبلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من
قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم على هذه الاية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقيل لا تدركه الابصار بالكفار
وقيل لا تدركه الابصار ولا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه
الابصار والمراد تدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله ثبت اليك
لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا
انما هو تاويل وليس فيه نص الامتناع والحاجات في حق موسى وجيث تطرق
التاويلات وتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله ثبت اليك
اي من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا فانه من نظر الي مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضة للافات والفناء فلم تكن
لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوة ثابتة
باقية وتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد راينا من هذا
العالم بالنص قال فلم يرني الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي الفاني واذا كان
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية راى الباقي باقيا قلت وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى
الله من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد
تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام وتقوية ادراكهما بقوى
الالهية يحاها لادراكهما ادركناه ورؤية ما راياه والله اعلم وقد
ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه
السلام راى الله فلذلك خر صعقا واذ الجبل راى ربه فصار دكا يا ذراك
خلقته الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان

استقر

استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا فتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر
ابن محمد شعله بالجبل حتى جعله دكا ولولا ان ثمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا ايدل على ان موسى رآه فقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه ورؤية
الجبل له استدل من قال برؤية محمد ربنا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مزية في الجواز اذ ليس في الايتين ما يقتضي المنع واما وجوبه لنبينا والقول انه راه
بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا دليل اذ المعول فيه على اتي النجم والتنازع
بينهما ما ثور وانا احتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس حبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي
صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاده مضمنه ومثل حديث ابي ذر في تفسير
الاية وحديث معاذ يحتمل التاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر الاخر يحتمل ويحتمل مشكل من روى نورا اني راه وحكي بعض
شيوخنا انه روى نورا اني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم يرا الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤيته الله
والى هذا يرجع قوله نور اني راه اي كيف اراه مع احتمال النور المعنى المتقدم
وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني
ولكن رايته بقلبي مرتين وتلى ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك له
الذي في البصر في الغلب او كيف شاء الا انه غير فان ورد حديث نص
بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع هو
قطعي يرده والله الموفق للصواب **فصل** واما ورد في
الغفلة من مناجاة الله تعالى وكلامه معه يقوله فاوحى الى عبده ما اوحى
الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل
وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال
اوحى اليه بيده واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا علم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وحكوه عن بن مسعود وبن
عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن بن عباس في قصة الاسرا عشرة
عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فاتاني جبريل فانقطعت الاصوات
حتى سمعت كلام ربي وهو يقول ليمند ذو علك يا محمد اذن اذن

وفي حديث الاسراء نحو منه وقد احتج بهذا من قال ان ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فانواع ثلاثة اقسام من وراء حجابه كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا نوما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر الزاز عن علي في حديث الاسراء ما هو واضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الله من الآيات وذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مستقل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبههما في اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد عليه السلام كاين حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب والسنة دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمد صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع بعضهم فوق بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى فتدلى من ربه وقيل مني دكي قرب وتدلى زاد في القرب وقيل بعكسي واحد قرب وحكى الكلبي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو من خرور مقدم تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم دفع فمر به ربه قال فاراني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب بلغ محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين قال

وقال

وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين قال جعفر ابن محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى ليسكون قلبه الى ما اداه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله على المتا وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله ليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كان كما ذكرنا عن جعفر التقارب ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه اية عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقد رتبه ومن الله تعالى مبتدرة وتاييس وبسط واكرام وتباول فيه ما يتوول في قوله ينزل ربنا الى سما الدنيا على احد الوجوه تنزل افضال واجلال واكرام وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنى جهل ثم مسافة تزيل كان ما دنى بنفسه من الحق تدلى بعد اليعني بعدا عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن تقايد القرب ولطف المحل وانشراح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار المختبى وانافة المنزلة والمبرة من الله له وتباول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان الاحسان وتجميل المامول **فصل** في ذكر تفضيله في المعتمد بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابن يعلى حدثنا السبتي قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن كهيل عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا والحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية بن خثيم عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الواء الحمد الكوم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر

ويطوف الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه والذي
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك
المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام انا سيد ولد ادم ولد ادم يوم القيامة وانا
اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فاد خلها مع فقراء المومنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في
الجنة وانا اكثر الناس تبعا ولا فخر وعن انس ذلك يجمع الله الاولين
والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال انا اطمع
ان اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر ما ترضون ان يكون
ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في اسبي يوم القيامة اما ابراهيم
فيقول انت دعوني وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة
بنو علات امهاتهم شتى وامانبي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به
قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيد هم في الدنيا ويوم القيامة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده بندبا لسؤدد والشفاعة دون غيره اذ لجاء
الناس اليه في ذلك فلم يجد واسواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوا
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا
ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وامثلة ذلك في الآ
والاحاديث لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك
لجا الى محمد عليه السلام جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دو
دعوى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة
يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فيقول محمد فيقول بك امرت
ان لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب
من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لا يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه قال
طوله ما بين عمان الى ايلة ينصب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان بمثله

وقال

وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين
المدينة وصنعا قال اسرايل وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروي حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة بن جندب وعقبة بن عامر وحارثة
ابن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو
امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد
وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وبريدة وابو سعيد الخدري
وعبد الضنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمنجية
والخلة جات بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم
على المستند المسلسل بحبيبه احمد بن ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وقيم
عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا
عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد الله بن احمد ابو الهيثم قال
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله
ابن محمد قال حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن اخو الاسلام ومحبكم خليل الله وفي
طريق عبد الله بن مسعود ولقد اتخذه الله صاحبكم خليلا وعن بن
عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا بالعجب من كلام موسى كلمه الله
تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك
وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيد خلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
من تخلل الله بذلك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التوراة انه حبيب الله قال القاضي ابو الفضل

رحمه الله اختلف في تسمية الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى
الله تعالى الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفا
وسمي ابراهيم خليل الله لانه والى في الله وعادى في الله وخلة الله
نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمته ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في
النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن طوزن الخلة
صفا المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم
اهل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والاطعام والترويح والاستشفيع
وقد بين تعالى ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه
قال هذا والخلة هنا اقوى من المحبة لان المحبة قد تكون في العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية ولا يصح ان تكون
عداوة مع خلة فاذا نسبة ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما
بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوليجهما عليهما والانقطاع عن من
دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة الاختصاص من
تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالج بواطنهما من اسرار الالهية
وتكنون عينيه ومعرفته او لاستصفايه لهما واستصفائهما عن سواه
حتى لم يحالفهما حب لغيره وهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسوا
وهو عندهم بمعنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلما واهل القلوب ايما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا
الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع واصح بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه
وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه واله تتقاعا بالوقتي وهي درجة المخلوق

واما

واما الخالق جل جلاله فنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب واقاضة رحمته عليه وقصرها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في
الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
الى الله والاعراض عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله كما
قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضاه رضاه ويسخطه يسخط
ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا ٭
فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا ٭

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم كما دلت
عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية
لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على تعالى هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فان اراده شرفا امرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم وعدهم على
التولي عنهم بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام
ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول
جملته اشار ابو القاسم القشيري الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر طرفا يعود
الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل الى حبيبه به
من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي
مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه
بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب
قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وقد ذكرناه تنبيه
على مقصد اصحاب هذا المقال على تفضيل المقامات والاحوال وكل

يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
حدثنا الشيخ ابو علي النسابي الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج
ابن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا اسماعيل بن ابان
حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع
لنا حتى تنتهي الشفاعة الى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام
المحمود قال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا ثم يؤذن لي
فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث
الشفاعة ثم يمشي حتى ياخذ حلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود
الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي شفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو
قال ذلك اليوم يترل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى
عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة هي
لهم اخترت الشفاعة لانها اعم واكفي اترونها للمتقين لا ولكنها
للمذنبين الخاطئين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دم بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم
فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال خذ بغبة
يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة
عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فيناديني محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
ولك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل

اهل

اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة واخر زمرة من
النار فتقول زمرة اهل النار لزمرة اهل الجنة ما تغني عنكم اليوم انكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى ياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود وكره عن ابن عباس ايضا وتجاهد ايضا وذكر علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير اسمعت بمقام محمد
يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج
الله فيه من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
من اسنى كوة وقال فذلك المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة
وغيرهما زاد في حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله له
الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الهم ما لا يطيقون ولا يحملون فيقولون الا تنظرون من
يشفع لكم فيا تون ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني
عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيا تون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى
ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
انس وذكر خطيئته التي اصاب سواله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة
وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيا تون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
قال فيا تون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصابها وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيا تون عيسى فيقول لست

لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأتي فأقول انا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمد بمحامد لا أقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي قال وفي رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وقال مكانه وفي رواية وقال ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال في هذه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب فما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعتبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية أبي هريرة فلكون أول من يجيب يومئذ وعن ابن عباس عنه عليه السلام ثم يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي مخافة أن يؤمر بي إلى الجنة قبل أمتي فأنظر ما يريد الله تبارك وتعالى بي فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة

بشفاعتي فلا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد مر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة ومن طريق آخر يا أيها المبشر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر ومدر فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته عليه السلام وتقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم المخارج ويبلغ منهم الغرق والغم والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في يومئذ من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا سواه عليه السلام في الحديث المشار الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلموا بها استجاب لهم وبلغ بها مرغوبهم والا فكم لكل منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يحد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجاء الخوف وضمنت لهم الإجابة دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الإجابة وقال محمد بن زياد وابن صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد أن أخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وختم في رواية أبي ذرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة بعضهم بالإجابة والأنفع أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشيا من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها فأخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وحاجة المحشر وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله أحسن ما جازى نبيا عن أمته

وصلى الله عليه وسلم كثيرا **فصل** في فضيلة في الجنة بالوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر والفضيلة **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بعسابي عليهما قالا حدثنا ابو علي الصدفي
حدثنا النمري حدثنا بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر الدامغ حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن سلمة حدثنا بن وهب عن بن لهيعة وحياة وسعيد بن ابي ايوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
انا هو فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وفي حديث اخر
عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله تعالى ثم ضرب
بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة رضي الله عنها وعبد الله
بن عمرو مثله قال ومجراه من الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض
من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه
امتي وذكر حديث الحوض وعن بن عباس وعن بن عباس ايضا قال الكوثر
الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير هو الخير الذي في الجنة من الخير
الذي اعطاه الله وعن حذيفة بن اليمان فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني
الكوثر نهر في الجنة ليسيل في حوضي وعن بن عباس في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابها المسك وفيض ما يسيل من
وفي رواية احمر في وفيه ما يغني لهن من الازواج والخدم **فصل**
فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثار واجماع الامة كونه
اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بتمييزه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الغازي
حدثنا الجلودي حدثنا بن سفيان قال حدثنا مسلم حدثنا بن مثنى
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثني بن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني بن عباس رضي الله عنهما قال
ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي

هريرة

هريرة قال يعني رسول الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه ان اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطم رجل
من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية
لا تخيروا بين موسى وذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن
ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الا خشن
فجاء رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم **فاعلم** ان للعلماء
في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وكان من
فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل مني لا يقتضي
تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه الثاني** انه قاله
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لسلم من
الاعراض **الوجه الثالث** ان لا تفضيل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص
بعضهم او الغض منهم لا سيما في جهة يونس بن متى عليه السلام اذا اخبر الله تعالى
عنه بما اخبر ليلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة واحتاط من
وتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن
نقدر عليه من يا يجيل من لا علم له محيطة بذلك **الوجه الرابع** منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة اذ الانبياء بها على حد واحد اذ هي شيء
واحد لا تفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل
ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور
وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله
تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك ثلاثة احوال اما ان تكون ايانة وهجوة اثم ظهر
او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضل في ذاته
راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية

او ما شا الله من الطافه وتخفف ولابانه واختصاصه وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس نفسخ منها فنفسخ بالربع
فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليها من اوهام
بسببها جرح بني ينوثه وقدح في اصطفايه وحط من مرتبته وهو من
عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد ينوجه على هذا الترتيب
وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القابيل لنفسه اي لا يظن احد
ان بلغ من الزكا والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى
الله عنه ان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تخطه
عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان
شا الله تعالى فقد بان الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمايه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته هـ

حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح **حدثنا**
يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا **محمد** وانا **احمد** وانا **الماحي**
الذي يمحو الله بي الكفر وانا **الحاشر** الذي يحشر الناس على قدمي وانا **العاقب**
وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن حصا بيصه تعالى له ضمن اسماءه
ثناه وطوى اثناه ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من
صيغة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم احمل
من حمد واقبل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات هـ
بصيغة الحمد وبيمنه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون
والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام
مالم يفتح غيره وسمي امته في كتب انبيايه بالحامدين لتحقيق ان يسمى محمدا
واحمد هـ في هذين الاسمين من مجاميع خصايصه وبدايع ايانه قن
اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي
اني في الكتب وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعوا قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف الغاب او شك
وكذلك محمدا بضالم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع فتيقن

وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من
العرب ابنايهم بذلك رجا ان يكون احدهم هو • والله اعلم حيث يجعل هـ
رسالاته وهم محمد بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن
ابرا البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
السلمي لاسابع لهم ويقال ان عمران اول من سمى بمحمد محمد بن سفيان والله اعلم
نقول قيل محمد بن المحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى بان يدعي النبوة او يدعي
احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمان له
عليه السلام ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
فقد جا في الحديث ويكون محوا الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من
الارض وقد عدانه ببلغ ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور هـ
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث
الذي مجيت به سبات من ابنه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وبروي
عقبي وسمي بها ايضا لانه عقب غيره من الانبيا وفي الصحيح وانا العاقب الذي
ليس بعده نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على
سنتي قال الله تعالى الا ان لم تدم صدق عندهم وقيل على قدمي اي
عقابي وحولي اي مجتمعون الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله
في خمسة اسما قيل الفا موجودة في الكتب المتقدمة وعندنا ولي العلم من الامم
السالفة وقد روي عنه عليه السلام في عشرة اسما وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد
كما حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره في عشرة اسما وذكر الخمسة
التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفى فقيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه وادي اه وحواية قسم بالنا كما ذكرنا بعد عن الحربي وهو اشبه بالقصير
وقد وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وقد روي الفتاش عنه
عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل
وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر

ومعاقب وماحي وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه
اسما فيقول انا محمد وانا احمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
نبي المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب
وقيل المتبع للنبيين وامر نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال
الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم
وقد قال في وصف امته امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة
لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومرحما مستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالمرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم والتعاطف عليه
فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السما واما روايته نبي الملحمة فاشارة الى
ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة ويروى
حدثنية مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
ويروى الحوفي في حديث آخر صلى الله عليه وسلم قال انا في ملأ فقال انت
قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم لموفى ادبعته عليه
السلام معلوم وقد جاءت في اقتابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسماة جليلة وجرى ذكرها في كتب الله المتقدمة وكتب
انبيائه واحاديث رسله واطلاق الامة جملة شائعة كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقي والمصلح والطاهر والمطهر والصادق والمصدوق والهادي
والسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الله وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة والجمل وصاحب المحجة

والسلطان

والخاتم والعلامة والبرهان والمراوة والمغلين ومن اسمائه
في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البار
قليط في الانجيل وقال ثعلب البار قليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ معناه طيب طيب وحطاطا
والخاتم والختام حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا
والخاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا ويسمى بالسرياني مشفع والمتحمي
واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد
يقاتل به وامته كذلك وقد جعل على انه القضيب المشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الان عند الخلفا واما المراوة التي وصفه بها ماضي سيف
اللغة العضاد اذا ها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود
الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن جيدة
الا للعرب والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه صلى الله عليه وسلم
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى ولقيت كثيرا
المشيوخ ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد ابراهيم فجاء جبريل
فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل في تشريف الله تعالى
له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله ما احري هذا الفصل بفصول الباب الا قل لا نخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بغرائب معينها لكن لم يشرح الله الصدر
للهداية اني استنباطه ولا انا والفكر لاستخراج جوهره والتقاطه لاعدم
الحوض في الفصل الذي قبله فرايتا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم
اكرمك الله ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة جعلها عليهم من اسمائه
كتسمية اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بجليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى بنبر وموسى بكليم وقوي ويوسف بعليم ظ عليم وايوب بصابر ظ
واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم
وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحتشاد
الذكر اذ لم يجتمع منها فوق اربعين ولا تفرغ فيها لتاليف فضيلتين وخيرنا
منها في هذا الفصل بحق ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهمنا الى ما علمنا منها

وحققنا بفتح النعمة يا ايها مالم نظهره لنا الان ويفتح علقه **ومن اسمايه** تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمد به عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد محمدا بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكثر من حمد واجل من حمد وكذا الشارة الى هذا احسان بقوله • • •
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

ومن اسمايه تعالى الرؤف الرحيم وسماه بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم **ومن اسمايه** الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق امره وكذلك المبين اي المبين امره والمحبة بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى نبينا صلى الله عليه وسلم في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وكل اتوا داخرين والنذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق عبده ورسوله وامره وهو بمعنى الاول والمبين المبين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمايه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منوره للسموات والارض بالايمان والمنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين وارائهم ما جاء به ومن اسمايه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمايه تعالى الكريم • ومعناه الكثير الخير وقيل الافضل وقيل المعفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمايه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمايه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشاهد في كل شيء وقد قال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل وتلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمايه تعالى الحيي ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشانه وقيل الكبير

وسمى النبي

وقف محمد بيك بجامعه

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود جبارا وقال تقلد ايها الجبار سيفك فان نامو سنك وشوكتك معقودة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظم خطره ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمايه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلي المأمور بالسؤال عن النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي عليه السلام وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمايه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او الفاتح ابواب الرزق والرحمة والمغلق عن امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية ابي بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه وتمجيده ومرابته وما فتح لي في ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح والخاتم هذا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدي بهداية الامة او المقدم في الانبياء في الخلق واحشرهم في البعث ومن اسمايه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لنفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه محمدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بذلك فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه

تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها
وتحقيقه انه ليس لها اول ولا اخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق
واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واحد الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصف الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في
الحديث ايضا اسم عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى
الولي والمولى ومعناهما القريب وقد قال الله تعالى انبي اولى بالمومنين
وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله تعالى بذلك نبيه في القرآن والتوراة وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال لجبريل وقد سأله عن قوله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث
المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله من اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم واصل الجمع من الهمل وقيل من التقديم وقيل في تفسيره طه انه يا طاهر
يا هادي بعيني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما
بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله
الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد لنفسه وقيل المومن عباده
في الدنيا من ظلم والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل انه تولهم في الدعاء امين انه اسم من
اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى امينا فقال

مطاع ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس في شعره في قوله
ثم اعندي بينك المهيمن من • خندق عليها تهتها النطق
قيل المراد بها المهيمن خالد العبسي والاصام ابو الحاسم الغشيري وقال تعالى
يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فمعنى
المومن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من
سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر من الذنوب ومنه الوادي المقدس طوى
القدس والروح في كتب الانبياء في اسمائه عليهم السلام المقدس اي المطهر من الدنس
كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي الذي يتطهر به من الذنوب
ويستره باتباعه كما قال ويزكيهم وقال ويجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى او يكون
معناه سالم بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب الذي لا تطيق او المعز لغيره وقال
تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى
نبيه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
انا الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى حليم وبين
وقد ذكر بعضهم ايضا اعظم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر ملاذا اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها مما تقدم عن كل
ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتنزحزحه عن شبه
التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى
اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يتشبه به وان ما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما الا في المعنى الحقيقي اذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاعتراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكنى في هذا قوله
ليس كمثله شيء وهو رد على من قال من العلماء العارفين بالمحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا مشتملة من الصفات وزاد هذه النكتة
الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا اسمه

انتم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة يواطئه اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا الذي بيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تنزيه ذاته ذات المحدثات وهي هي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو ليس جلب انس او دفع نقص حصل ولا يجوز طوارق واعراض وحدثي لا بعبارة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال احد من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا امتزاج وعلته لعمل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفضل الاخير تفسير لما ليس كمثله شيء وانا نفسر لقوله لا يبالي بما يفعل وهم يسالون وانا لث تفسير لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون تثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طوري العلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته والله الموفق للصواب **الباب الرابع** فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي حسب المناسل ان يحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فيحتاج الى نصب البراهين عليها وحصين حوزها حتى لا يتوصل الطاعن وتذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نتج الشرايع وزنده بل القناه لاهل ملتنا المقرين له عونة المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في مجتهم ومنماة في اعمالهم وليزداد ايمانا مع ايمانهم وثبتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير ايات لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا فيها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره ما بلغ القطع اكثاره واصفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتوسل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة عمله ورجاحة عقله وجلة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب

مقاله لم يميز في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا عيز واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي ابن نافع وغيرهم باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيت لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابي محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فارية فلما راينه قلت هذا بني والله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له اعد على كلماتك هولاء فلقد بلغن ناموس البحر هات يدك ابايعك وكما ل جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر اذرا ابي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له هل لك ان تبيع شيا بتيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسفنا من تمر فاخذ يخطاهه وساد الى المدينة فقلنا بعضنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا فتانة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر له يجيئ بكم فاصبحنا فجا رجل يتمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا فعلنا وفي خبر الجلندي ياسند عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول الخذيه ولا ينهى عن شيء الا كان اول تاركي له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد ويخبر الموجود واشهد انه نبي وقال لقطوبه في قوله تعالى يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم ايانا قل فليمنعكم مني ان اراد بكم سوءا او اراد بكم خيرا فلم تمتنعوا مني وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد مشركوا قومك يبطشون بك لما يسمعون من ذكر الهتهم وعيبها بنبوته وان لم يبطشوا فانا قادرون على ذلك شعر

لو لم تكن ايات مبينة ... لكان منظرة ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران
وما فيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر
على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتداء ودون واسطة كما حكي في غرسته في بعض الانبيا وذكر بعض اهل
التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجايز ان يوصل اليهم
جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر
كالملايكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع لهذا من دليل
العقل واذا جاز هذا ولم يستحيل وجات الرسل بما دل على صدقهم من
معجز لغم ووجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان العجز مع التحدي من النبي
فايم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من هم
ماخوذة من انبا وهو الخبر وقد لا تعتمن على هذا التاويل تسهيلا
والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه بنيه فيكون نبي منبا
قيل بمعنى مفعول ويكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما اطلعه الله
عليه قيل بمعنى فاعل ويكون عند لم يميزه من النبوة وهذا اذا ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة بهيمة عند مولاه صيغة
فالوصفان في حقه موجبان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى
مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه
واستفاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا تبع بعضهم
بعضا كانه الزم تكريرا لتبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما
هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانبا وهو
الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فقد اثبت لهما معا الارسال قالوا ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا
نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وجوز ذ وجهها
وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام مما قلنا
وجعلهم من الاية تغايرهما التغاير بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الا اننا وبني ليس

يرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم
يات به بني غير رسول وان امرنا الابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجمها
الغفير ان كل رسول بني ص ليس كل بني رسول واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر عندان الانبيا ماية الف واربعة
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثماية وثلاثة عشر ولم ادم
فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليسا عند المحققين ذات النبي ولا
وصف ذات خلافا للكرابية في تاويل لهم وتمويل ليس عليه تعويل واما الوحي
فاصله الاشتراع فان كان النبي يتلقى ما يابه اليه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت
القاع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي بالخط وحيا لسرعة حركة
يد الكاتب اي كاتبه ووحي الخاجب واللحظ سرعة حركتهما ومنه قوله تعالى
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومار ورمز وقيل كتب ومنه قولهم
الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي والسر والاخفا ومنه سمي الالهام
وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم اي يوسوسون في
صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك
في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه من قبله دون
واسطة **فصل** اعلم ان تنفيذنا ما جاء به الانبيا معجز وهو ان
الخلق عجز عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة
البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كعجزهم عن
تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب
هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخر وكلام شجر وينع الماء من الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبي من فعل الله
تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي
ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه من
هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة واعمرهم اياته واظهرهم برهانا
كما سنبينه وسي في كثرتها لا يضبط بما ضبط فان واحدا منها وهو القران
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة
منه فجعل عجزا قال اهل العلم واكثر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية
او اياث منه اعداد ها وقد رها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما ستفصله

مطلع
النبوة والرسالة وجود الانبيا
واولياء امته والاولياء

فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين فقسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فالامر فيه لا خلاف يجري اليقين به وظهور ما من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلام ايات وخوارق عادات انه لم يبلغ واحد منها مبلغا القطع فيبلغه جميعها فالامر فيه في جريانه معاينة على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف العناد في كونها من فعل الله وقد قدمنا كونها من فعل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لانتفاء معاينتها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لانتفاء الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقل السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم ينتشر انتشارها وغيره لكنه اذا جمع الى مثله التقا في المعنى واجتمع على الاثبات بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل وانا نقول قد ثبت عيانا بالحس ان هذه الايات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما اشتقاق القرآن لفظه ونظمه وجزالته وصحة معانيه واخباره عن وجوه لا يعتدل عن ظاهرها لاحد ثم وجوه احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا نؤمن عمر ضنا خلاف احد فيق من يخل عري الدين ولا يلتفت الى مخالفة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفا المؤمنين بل نزعم بهذا القدر وبتيقيد بالعبارا سمعه وكذلك نبعة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم انه ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وغزوة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يرو عن واحد من الصحابة مخالفة للراوي في اخباره ولا انكار عما نكر عنهم رواه وكما رآه

فسكوت

فسكوت من سكت منهم كنطق الناطق انه من المتزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هنالك رغبة ولا رهبة تمنعهم والو كان ما سمعوه منكرا عندهم وعن معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطع من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبينت على باطل لابد مع مرور الازمان وتداول الناس واهمال البحث من انكشاف ضعفها وهموك ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام هذه بينما الوارد من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفائها وتمويها الافوق وتعويلا والطاعن عليها الاحسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال بعض ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي اوجب قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قليلة مطالعته للاخبار ودرايتها وشغله بذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير علم وجب صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة وداره الامامة والخلافة والحادس الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام واخذا البيعة في اول ليلة من رمضان على ما سواه وان الشافعي يرى تجديد البيعة كل ليلة والانتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب البينة في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يبتنقل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نريد الكلام فيها بيانا ان شا الله تعالى بعونه وتوفيقه

فصل في اعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب

الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه او لها احسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته
المخارقة عادات العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام فقد
حصلوا من البلاغة والحكم ما لم يحظى به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يوت انسان ومن فضل الخطاب ما يفيد الالباب حصل الله لهم ذلك طبعا
وخلقة وفيهم غريزة وفوقة يا تون منه على البديهية بالعجب ويدلون به الى كل
سبب فيخطبون بديهيا في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به حربي
الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويترسلون ويرسلون ويضعون
فيا تون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللالا
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الله حزن ويهيجون الرمن
ويجربون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا
ويتركون المبينة خاملا ومنهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهري والترع القوي ومنهم المحضري ذو البلاغة
الباهرة فالكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة هو
الكثير الروعة الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة البليغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا تشكون ان الكلام طوع
مرادهم والبلاغة ملك ميادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها
ودخلوا من كل باب من ابوابها وغلوا صرحا للبلوغ اسبابها فقاوا لولي
الخطيل والمهيبن ونقنتوا في الغث والسمين ونقدا ولوا في الجل والكثير
ونشاجلوا في النظم والنثر فما راهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يا تيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت
اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
ونقضا من ايجازه ونظاهرت حقيقته ومجازه وتجاريت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن
نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وفخم افخم ما كانوا في هذا
الباب مجالا واكثر في السجع والشعر اوجالا واوسع في الغريب واللغة
مقالا بلغتهم التي هي يتجاورون ومذاهبهم التي عنها يتناضلون صار بها
عجم في كل حين ومعجز عالم بعضها وعجز عن عاما على رووس الملا اجمعين ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان

كنتم

كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا وقل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران الاية وقل فاتوا بعشر مثله مفتريات وذلك ان المفتري اهمل
ووضع الباطل والمختلف على الاخبيا راقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب لحما يقال له فلان يكتب كما يريد وللاول
على الثاني فضل وبينهما شاد بعيد فلم يزل يفترعهم صلى الله عليه وسلم غاية
التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويخطيء اغلامهم ويبكتهم
نظامهم ويذم الهتهم وابائهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم ويمن في
كل هذا ناكصون عن معارضته مجمعون عن معارضته يخادعون انفسهم
بالتشغيب بالتكذيب والافتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يوثر
وسحر مستمر واساطير الاولين والباهته والرمايا الدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا
مع العجز لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا
مما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره هو
لجميعهم ولعمري الله ما الغوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز
منهم انه لميز من غط فصاحتهم ولا حبتي بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين
وانوا مذعنين من بين ممتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا البشر وذكر ابن عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع احر رجلا يقرا فلما اسيا سوا
منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام هو
وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما يا تي المسجد فاذا بغلام
على راسه يشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من
كتابكم فتاملتها فاذا فيها قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه
الاية وحكي الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك

فقال اوكيله هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية تجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من الاعجاز منفرد بانه غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة ويعجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك يعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين بالعجز بلاغة وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو شاء اذهب بسمعهم وابصارهم فلا فوت واخذ ومن مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله ويا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فلما اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الالاف بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وبديع تاليف عباراتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواجر وجليت الدوادين من بعض ما استفيد منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في رد القصص الطوال واخبار القرون التوالف التي يضعفه في عادة الفصحاء عند ها الكلام ويذهب بالبيان اذا شاقلة مع ضبط الكلام بعضه ببعض والتيام رده وتناصف وجوهه كقصيدو سف على وجوهها فاذا تردد ت قصصه اختلفت العبارات عنها باكثر تردد ها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتتناصف في الحسن وجوه مقابلتها ولا يقوى الناقدون من ترديدها ولا معاداة تعدادها

فصل الوجه الثاني

من اعجاز صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاءت عليها ووقفت مقاطع اياته وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولا استطاع احد محاولة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حيني كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر وما سمع كلام صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القرآن رق فجاء ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي

يقول

يقول شيئا من هذا وفي حينه الاخرين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمرته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا نقول شاعر قالوا ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وبسيطه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا نقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر جاء بقول سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اعلم شيئا الا وقد علمته وقرانه وعلمته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث كذا وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد نظر نحن اثنا عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه اطلق الى مكة وجاء ابي ذر جنبه النبي صلى الله عليه وسلم فلما قفل فما يقول الناس قالوا يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب المغرب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدر تها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المعتدين بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب وابى على ذلك بقول بعجز الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهن خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قرن جزالته وفصاحته الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوب لا يصح ان يكون في مقدور البشر

انه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا حية
وتسبيح الحصا وذاهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم
عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فنحن العرب عنه ثابت وافاقة
الحجة عليهم بما يصح ان يكون بني معد والبشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتفويض والاحتجاج بمجيء البشر بمثل شيء
ليس من قدرة البشر لازم وهو اعم اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
بمثاله بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذلة وكانوا
من تمزق الانف وابانة الضبع بحيث لا يودون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدورهم وفي الشغل بها اهون
عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر واحسام الخصم لديهم وهم منهم قدرة
على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام ومعاينهم الامن جمد جموده هـ
فاستنفد ما عنده في احتفاظ ظهوره واطفاء نوره فاجملوا في ذلك خيبة
من نبات شعاعهم ولاذوا بنقطة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ايلسوا فاستبوا وسئموا فانقطعوا
وذلك برهان من اعجازه

فصل الوجه الثالث

من الاعجاز الناطق
عليه من الاخبار بالمغيبات ولم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي
اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس
في الاسلام افواجا ماتت عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم
يدخله الاسلام واستخلف الموحدين في الارض وسكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعدم من سعى
في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا
كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم بيقاعهم على جسمايه عام فما قدروا على اطفاء
شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلماته ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه

فالحمد

والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لئن
بسطت الي يدك الاية وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك الاية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله وقد قيل مبتدا ما قدروا الله حق قدره والله اعلم
الموفق يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما ترك
بشر النبي صلى الله عليه وسلم نبذ ذلك اصحابه بان الله كفاهم وكانوا المستهزئون
نفرا يمكنه ينفردون الناس عنه ويوذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس
كان ذلك على كثرة من رام هضده وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل الوجه الرابع

ما اخبر به من انبا القرون السالفة والامم
البائدة والشرايع الزايرة مما كان لا يعلم القصة الواحدة الا العدد الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيوقوفه النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وما يجري فيه
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم اتى لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا ما
لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكر
قصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق
وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدق فيه
العلماء بها ولم يجدوا واحدا منهم يكذب بما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن رقق
امر ما يتولاه من حروف معانده حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من
النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سواله له عليه
السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم
عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم

اسرايل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم
بيغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي تنزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبهم
بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف اجتاده وحسدهم اياه
كاهل نجران ومن صوريا وبني اخطب وغيرهم ومن ذهب من بعض هم
المباهلة وادعى ان بينهما عندهم من ذلك لما حكاه فعند دعي الى اقامة صحته
وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله
الظالمون فخرج ودعا الى احضارها وهكذا غير ممتنع فمن معجزاته ما يجدد
ومنها ما يتلى على فصيحته من كتابه بيده ولم يوثر ان احدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيفا ولا سفيرا من صحفه قال الله يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين

فصل هذه الوجوه الاربعة البينة في اعجازه

من عين هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم قد قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند
الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر
دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انه لن يتمنوه ابدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه
احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت صحته
قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من
قوم امرا لله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود شاهد لمن
اراد ان يمتحنه منهم وكذلك انه لما هلك من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله
فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان المعارف
عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اي جبلوا انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل
في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله واناقة خطوه وسمو علي المكذبين به اعظم
حتى كانوا يستثقلون سماعه ويريدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته وهيبته اياه مع تلاوته توليه الجدا بانا
وتكسبه هشاشة يميل قلبه اليه وتصد يقه به تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الاية ويدل على ان هذا نبي حض به انه يعتري من لم يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقاري فوقف يبكي فقيل
له مم يبكيك قال للشجا والتنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لما قال وهلة ومنهم من كفر هو
فحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون الى قوله
المسيطرون كان قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليه سورة حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقبل وعتبة مصغ يعالجه بيد به خلف ظهره هو
معتمد عليها حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري يعارضه ام يرجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر
لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت
ما اقول له وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته
روعة وهيبة كفت بها عن ذلك فحكى ان المتنبي طلب ذلك وراامه وشرع
فيه فمن بصبي يقترا وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وحكاه من افصح اهل وقته وكان
يحيى بن حكم الغزال يبلغ الاندلس من ان حكمه فحكى انه رام شيا من هذا
فتعثر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال
فاعترتني خشية ورعدة حملته على التوبة والانابة فصل ومن وجوه
اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه

فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على مر الاعصار والدهور مدة خمس مائة عام
وخمس وثلاثين سنة لا يزداد على الترداد الا جدة وغضاضة ولا يزداد على الاعصار
والامصار الا صباحة وصاحبه باهل البيان وجملة علم اللسان وآية البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البلاغة والملحدون فيه كثير والمعادي للشرع عبيد فما منهم
من اتى بشيء يوشح في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على
سطرين صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن
كل من رام ذلك القاعود في العجز ببيده والتكوص على عقبيه فصل
وقد عهد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوهاً كثيرة منها انه قارن
لا يحيله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته وترديده يزيده تحببا
له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن مبلغه يمل مع الترديد
ويجافي اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اضحاكها لجوناً وطرقاً يستخلق
بتلك اللحون نتشيطهم على قراءة لهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو المفصل
المبين بالمنزل لا يشبع منه العلماء ولا ترتاح به الا هواء ولا تلتبس به الالسنة
هو الذي لما سمعته الجن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تجمعها العرب عامة ولا يحمد صلى الله عليه
وسلم قيل بنوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بحقها ولا يحيط بها احد
من علماء الامم ولا يستقل عليها كاتب من كتبهم مجمع فيه من بيان علم
الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم بيانا
قوية وادامة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحدون
لمعارضته بيضعوا ادلة مثلها فلم يقتدروا عليها كقوله ادلى الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها
اول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم البيان
وآيات الاحكام والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال

عليه

عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم
به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به افسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به
هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم
بغيره فقصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد وكتبه عن
ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشابه فيه بنا الاولين والاخرين
وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها بيان العلم وتمام
الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم يا القرآن فانه فهم العقول ونور الحكم
وقال تعالى انه هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية تجمع منه مع وجازة اللفظ
وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن
وضعه وايجازه وبلاغته واثنا هذه البلاغة اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
فالتالي لم يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة واحدة
منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز
المنثور لان النظم اسهل على اللسوى واوعى للقلوب واسرع في الاذان واحلى
على الافهام فالناس اليه اميل والاهوائه اسرع ومنها تيسيره تعالى لحفظه
لتخليده وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منها كتكليف الجماعي هرود السنين عليهم
والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعضه اجزاءه
بعضا وحسن ايتلاف انواعه وانتظام اقسامها وحسن التخلص من فنونه
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة
الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات بنوة
وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده دون خلل
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره شيء من هذا ضعفت قوته

ولا ننه جل الله وقل ره تعد وتقلمت الخاطر تتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار و شقاقهم وتفنن بعم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد
وتعجيبهم مما اتى به والجبر عن اجتماع ملاءهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وقولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا واحرابهم ونكذيب الامم قبلهم فحل بهم
واهلاك الله لهم وعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسلية بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبيا
كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام وبديع الجمل الكثيرة التي انطوت عليها
الجمل القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران اتى وجوه
كثيرة ذكرها الا ءمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا حاجة ان نعد
هنا مستقرا في اعجازه الا في باب تحصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا
ذكره عنهم يعد في خواصه وفضايله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجايبه التي لا تنقضي
وبالله التوفيق **فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس** قال
الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا ءاية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن ءاياته واجمع
المفسرون واهل السنة على وفق ما اخبر نا الحسين بن محمد الحافظ في كتابه
حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي حدثنا المستروري حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان وشعبة عن الاعمش عن
ابراهيم عن ابي معمر عن بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية بحاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي
بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن بن مسعود الاسود وقال رايت الجبل
بين فرجتي وفي رواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم بن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحرنا فانه لا يبلغ من
سحره انه يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا
فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى المستدبي عن الضحاك نحوه
وقال نقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى ننظر واتاوا
ذلك ام لا فاخبروا اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار وهذا سحر
مستمر رواه ايضا عن بن مسعود علقمة ومسروق والاسود عن عبد الله وقد

وقف محمد بيك جامع

رواه عبد بن مسعود جماعة رواه بن مسعود انس وبن عباس وبن عمر وحذيفة وعلي
وجبير بن مطعم فظاهر علي من رواية ابي حذيفة الا رجيبي انشق القمر ونحن مع
النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم
ان يريهم ءاية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وان ابنه جبير بن محمد
ورواه عن بن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن بن عمر مجاهد
ورواه عن حذيفة ابو عبد السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والاية معجزة ولا يلتفت الى اعتراض محدث
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل الينا
عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو فعل اما ان
لا يجوز لما لهم لكثرتهم على الكذب بما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر
في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين هم
وقد يكون موضع بعد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض ويحول بين قوم
وبينه سحاب او جبال وهذا بعد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض
وفي بعضها حين وقته وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون هم
لعلمها ذلك لتقدير العزيز العليم وانه القمر كانت ليلة والعادة من الناس
بالليل الهدو والسكون وايجان الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من
امور السماء الا من رصد ذلك وابتهل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري
كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعبا به حتى يجيء وكثيرا ما يحدث الدعاة بحوادث
يثبتها هم بنجوم من انوار ونجوم طوالع عظام ينظرون الاحيا بالليل في السماء ولا
علم عند احد منا وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن احمد بن عيسى من
طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل
العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي
قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارده عليه النهيلي قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والاراضي وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان
ورد تهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم
التخلف عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة

المغازي رواية عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم يجيء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء وتكثيره
من بين اصابعه بركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا اروي
حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه منهم انس وجابر ورواه
مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر النيسابوري رحمه الله بقراءتي عليه ثنا الفقيه يحيى
ابن سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الحذاء ثنا ابو عيسى ثنا يحيى قال
ثنا ادم عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر
الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤوا من
عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه ولا يكاد يبلغ
قال كم كنتم قال زهاء الثمانين وفي رواية عنه وهم بالوضوء عند الصوت ورواه
ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا زهاء ثلثمائة رجل واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه قلت كم كنتم قال لو كنا
مائة الف لكفانا كنا خمسة عشرة مائة ورووي مثله عن انس عن جابر وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتى به
النبي صلى الله عليه وسلم فتمضمض وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة

ومرة اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء فمن استقى واحتى
روى فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من
الجفنة وهي ملاى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة
ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غير هذا فسكبها في ركوة وضع اصبعه وسطها
فجعل الماء يخرج من بين اصابعه فتوضؤوا ثم يقولون ثم يقولون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين وسنذكر هذا في هذه المواطن الجملة والجموع
الكثيرة لا تنطرق التهمة الي التحدث به لانهم كانوا اسرع الي تكذيبه لما جبلت
عليه القوس من ذلك ولانهم كانوا من لا يسكت على باطل فمن لا قدر وقاهد
هذا واشاعوه وشهدوا حضور الجم الغفير له فلم يكن احد من الناس عليهم ما حد ظهر
بد عنهم انهم فعلوه وشاهدوه تضاد كتصديقهم جميعهم **فصل**
ومما يشبه هذا من معجزاته تكثير الماء بريكة وانتفاعه بمسه ودعوته هما روى
مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي
تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فما تخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملي جنانا
وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثهما في قصة الحديبية اربع عشرة
مائة ويزيدها الا ترى في ضمن شاة فتحناها فلم تترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها فاما البراء فاني بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلة فاما عاما واما لا فبصق فيها فاستن فاروا القوم وركابهم وفي غير
هذه الرواية في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى صدروا عطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسوله الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فاما علم ان قد
فيها لم لا تشرب الناس حتى روا وملا كل انا معهم فحيل الي انها كما الحذها
سبي وكانوا ثلثين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر
الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكرنا اهل الصحيح وان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج بهم معتمرا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا

طويلا فيه ايات ومعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يعتقدون انها نبي
عندهم كحديث البيضاة قال والغوم رهاء ثلاثة ايام وفي كتاب مسلم انه قال لابي
قتادة احتط علي فيضانك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران
ابن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم
فوجد رجلين من اصحابه وامرأة بعيرها انهم يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه
مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فحلب في اناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما واسر الناس فملوا واستقوهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران بن
حصين ويخيل الي انها لم تزداد الا امتلاء انهما من مجمع للمزادة من الازواد حتى
ملأن ثوبها وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء
رجل باداوة فيها نطفة فامر غلاما لي بتدجين فتوضأ فاكثر ثم اعطاه فشربه فقلت
اربع عشرة اية وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى
ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه
وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم
من اية فلم يجاوزوا العسكر وعن عمرو بن شعيب ان اباطالب قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو رديفه يذي المجاز عطشت وليس عندي ما فنزل النبي صلى
الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا
الباب كثير وسنذكر الاجابة بدعائه فصل ومن معجزاته كثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا
العذري ثنا المرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا مسلمة
ابن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه
وامرأته وضيفه حتى كاله واتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم يكله
لاكلتم منه ولقام بكم من ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله
عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابط
امرها ففعلت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر واقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد
ابن ميناء وابن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر
من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابي ايوب
فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال
وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حزت له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة
وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع فكان مثل مخ رزنة كوم هيئة الغنم شم دعا
الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني
النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفضلت فضلة وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها
اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجفنة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بماء فشربوا
حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال لبني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين
ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى اهللا البيت والحجرة
وقدم اليهم ثوراينه قد رمد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وعشى ثلاث
اصابعه وجعل القوم يتعاقدون ويجزجون وبقي الثور بحاله كما كان وكان القوم
اوالثمانين وسبعين رجلا وفي رواية احزابي في هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا ثمانمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ادفع فلانا درعي حين وضعت
كان اكرامه حين دفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة
طحنت قدرا لخدايمها ووجمت عليها النبي صلى الله عليه وسلم لبنغدى

معهما فاخرجها فتفل فيها وبارك ثم قال ادن لي صحفة فاتاه بصحفة صفحنة ثم له صلى الله عليه وسلم وتوضأ ثم
جعل يصب عليها فجعلت تفيض من جوانبها فقال خذا فكلا منها ما شاء الله ولعمر بن الخطاب الذي رد
ان بجاية راكب من احمس تقال يا رسول الله ما بي الا اصبوع قال اذهب
فذهب فتوضأ منه وكان قدر الفضيل الذي بقي من التمر وبلي بجالة من رواية
وكيع الاحمسي ومن رواية جرير بمثله من رواية النعمان بن مقرن الحمير
بعينه الا انه قال ان بجاية راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين
ابيه بعد موته وقد كان بذل الغرماء بيعه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في
تمرها سيئ كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اجرى بجدادها
وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فتعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتيني
به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت
به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فغرفت على اكثر مما جئت به فاكلت
منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر الى ان قتل
عثمان فانتهب متى قذهب وفي رواية فتعدحملت من ذلك التمر كذا وكذا وسق
في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصاب الجوع فاستتبعه النبي
صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح فدا هدي اليه فامره ان يدعو اهل
الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب هذه شربة اتقوى
بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت اعطيه
الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روى جميعهم قال فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقول لها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انا جئن للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان
عيال خالد كثيرا يقبع الشاة فلا يشبعهم اعظما اعظما وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة

فتشر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا وذكر خبث الدولابي ومن حديث الاجري في الكلام
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بقصعة من اربعة
امداد وخمسة وبذبح جزور الوليمتها قال فاتبته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل
الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر
بحملها الي ان واجد فقال كلي واطعمي من غشيكن وفي حديث ابن تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصنعت ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
والجمع احدا لقيته الا دعوته وذكروا انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملوا الصفة
والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى
الله عليه وسلم يده على الطعام ودعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
شبعوا كلهم فقال لي ادفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجمعهم على معجي حديث
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من
لا يعد بعدهم واكثرها في تفصيل منثورة وتجامع شتاتها لا يكاد الحد يشح
عنها الا بالحق ولا يسكت الخاطر لها على ما انكر فصل في كلام الشجر بشهادة
له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمرو الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندي عن ابي قاسم البغوي ثنا احمد بن
عمران الاخفسي ثنا ابو حيان التيمي قال صد وثنا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تخد عروقا ثائرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا
يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في
ذلك فاستوت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد

لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاين لي اقبل يديك ورجليك فاذن له
وفي الصحيح من حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبعض حاجته فلم ير شيا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال
انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر
انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن
الله قالتيما وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فجئت حتى
لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامتا كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا ورواه اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل لتفي مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت الاراك
ماتيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت اري نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فعلت فاما الذي اتيته النخل
لعدد ايت النخلات ينتظمن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن وكانها
خلف فلما قضى حاجته قال لي قل لهن ينفرقن فقلت فذلك حتى صرن وكانت
والحجارة يبعثرن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر قاما مرة بين
فاقضيا وفي روايته اثنتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة
وهو بن سيابة ايضا وذكر اشياء كانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
ان طلحة اوصرقجات فاطافت به ثم رجعت الى مبيتها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انها اساءت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
انت النبي صلى الله عليه وسلم يا يحنى ليلة اسمعوا الشجرة وعن مجاهد عن بن
مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة فنادى الشجرة
فجاءت تخر عروقها لها تعافع وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضي ابو الفضل
فهذا بن عمر وبريدة وجابر وبن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن

مالك

مالك وعلي بن ابي طالب وبن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة لفظها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي ه
وذكر بن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف ليلا وهو وسن نام عن صلاته
سدرة فانحرفت له فصلين حتى جاز بينهما وبقيت على حالها في الي وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة من ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وراه حزنيا الحق اذا اريك ايه قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين
يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم اري اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا بحجة وذكر مثله
وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لم لائه وذكر بن اسحاق
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فانت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن ان عليه السلام شكى الي
ربه من قومه وانهم يجرفونه وسال الحاجة يعلم بها ان لا محافة عليه فاوحى الله اليه ان
ايت وادي كذا فيه شجرة فادع عصاتها يانك تفعل فجاء خطا حتى انتصب
بين يديه تحسبه ما شاء الله ثم قال ارجع كما جيت فرجع فقال يا رب علمت الا محافة
علي ونحو منه عن عمر وقال فيه اري اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكره نحوه
وعن بن عباس ان صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله فدعاه فجعل ينقد حتى اتاه فقال ارجع
فعاد الى مكانه وخرج الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل**
في تفصيل جبين الجذع ويقصد هذه الاخبار وحد بين ايمن الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر فيه متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس
وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبن بريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد
الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى
وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكنا نبكي لما نرى
به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت فاتاه غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما

فقد سمى الذكر وزاد عبده والذي نفسي بيده لولم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تخر ناعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض
الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان قتلى
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد
رفاتا وذكر الاسرائيلي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض
فالتزمه ثم لحقه فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى
الله عليه وسلم ان شئت ادرك الى الحايط الذي كنت فيه فتنبت لك عروقك
ويكمل لك خلقك ويجدد لك حوض وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اوليا
الله من ثمرك ثم اضحى لنا النبي صلى الله عليه وسلم يتسمع ما يقول فقال نغرسني
في الجنة فيأكل صفي اوليا الله واكون في مكان لا ابلي فيه فسمعه من يليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال للضارد ايا يعا على دلو الثنا فكان
الحسن اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقايه رواه عن
جابر حفص بن عبيد الله وقال عبيد الله بن حفص وابن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابن صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن بن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابن
لهوذان عن بن سعيد وعمار بن ابي عمار عن بن عباس وابن حازم وعباس بن
سهل عن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن
بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي بن المفضل رضي الله
عنه فهذا حديث كما تراه حزنه اهل الصنعة ورواه من الصحابة من ذكرنا
وغيرهم من التابعين ضعفهم ابي من لم نذكره وبين دون هذا العدد ويقع
العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا
وقع في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا الملهب ابو القاسم ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا
ابو احمد الزبيري ثنا اسرايل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي عين هذه الرواية عن بن
مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه

وقال اني احمد النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صببن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما
سبحن وروي مثله ابو ذر وذكر انه سبحن في يد عمر وعثمان وقال علي كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه
عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث الا سود
وعن عايشة لما استبطئ جبريل بالرسالة خيلت لا امر على حجر ولا مدر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذا استقبل النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى بنيه بلاة ودعا لهم بالستر من النار وكسوه ايا هم بلالة فامنت
اسكفة الباب وحايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى
الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر في حرا ورضا عن عثمان قال وهم عشرة من
اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن بن عوف وسعدا قال وشبيت الاثبين وفي
حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي ان حين
طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فانا نخاف ان يقتلوك على ظهري
فيجد بني الله فقال حرا الي يا رسول الله وروي بن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار
انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن بن عباس كان
حول البيت ستون وثلاثمايه صنم مشبثة الاارجل بالرصاص في الحجارة فلما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
اليها ولا يمسها ويقول جا الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث بن
مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد
ومن ذلك حديثه مع الراهب في ايامه اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك قال انه لم يمر بشجرة ولا حجر الا خر ساجدا له ولا يسجد الا لنبي
وذكرا القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم سبقوه الى بعض الشجرة فلما جلس مال الفي اليه فصل
في الايات في مروب الجيوان حدثنا سراج بن عبد الملك نا ابو الحسين الخياط
نا ابي نا القاضي يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا نا ابو العلا احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس
ابن عمر ونا جاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجي ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمران رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي فقد صاد ضبا فقال من هذا
فالوا بني الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرح
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب
فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا البيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
وسمى ذلك فصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع
يرعى غنما له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب وقال
للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي اتعجب من ذيب يتكلم
بكلام الانس قال الذيب الا اخبرك بما هو اعجب من ذلك رسول الله بين
الحرتين يحدث الناس بانبا من قد سبق قال الراعي النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهم فخذهم ثم قال صدق الحديث
منه قصة وفي بعضه طول وروي حديث الذيب عن ابي هريرة وفي بعض
الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب وانقا على غنمك وتركت
بنيالسم بيثرب اما بينا قط اعظم منه عندة قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون فتالم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فنفير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى
ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى

الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك فجدها يوفر فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب
القنة والحديث بها وتكلم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب
هذه القصة ايضا وسبب اسلامه مثل حديث ابي سعيد وقد روي
ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي صفوان بن حرب وصفوان بن امية
مع ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف فتعجبا من ذلك فقال
الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر والذي جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس
ابن مرداس مما تعجب من كلام ضباء وضمه وانشاده المشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عتابا تعجب من كلام ضباء وانا
نعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الاسلام وانت
جالس فكان ذلك سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقاله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بالغنم قال احتقب
وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك وبردها الى اهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط
انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم منيحة له
فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حايط فجا بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله وعلي بن مرة وعن عبد الله بن جعفر قال
وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه فوضع سفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما
والارض شي الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد
الله بن ابي اوفى وفي حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
سالهم عن شانه فاخبروه انهم اراد وا ذبحه وفي رواية انه شكى اليه
عليه السلام قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكى اليه
انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فعاذ الرجل
وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتغريبها

له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وحب الوحوش عهنا وندايم لها الى
الحمد وانما الحمى لا يلم تشرب بعد موته حتى مائت ذكره في الاستيعاب وروى
ابن وهب ان حمام مكة اطلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم تهجا فدعا لها بالبركة
وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر بشجرة فنبتت بجاه النبي صلى الله عليه وسلم نسرته وامر حمامتين
فوقفتا بفم الغار وفي حديث احمر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون لذلك ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط
قربه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات حمنوا وست اوسبع
ليبحثن بها يوم عيد فاز لمن اليه بايمن يديه واوعن ام سلمة كان النبي صلى
الله عليه وسلم في سحر افتاد ته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت
عداء بني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما واجيء قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها وذهبت ورجعت
فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله ان حاجة قال فطلق هذه
الظبية فاطلقها فخرجت تعدو وهي تضرب وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه ابي معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهرهم وتنحى عن
الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية احزي الاسفينة تكسرت
به فخرج ابي جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم
فجعل يمشي بي بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة
لعجم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فسارت لها مسمعا وبقي
ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعدها وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من
كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له ما اسمك قال اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجد مع اصحابه فيضرب عليه
الباب برأسه ويشد عليهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما حوصر في حصن
في بني جزء عا وحزنا قامت وحديث الناقة التي شمدت عند النبي صلى الله
عليه وسلم لصاحبه انها سرقها وانها مملوكة وفي العتر التي اتت رسول
الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء

ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع
املكها وما اراك فنيطها فوجدتها قد انقطعت رواه ابن نافع وغيره وفيه
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاءها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا يترح بارك الله
فيك حتى تفرغ من صلاتنا وجعله تبلنه فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه
وسلم وسيلتقي بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه
رسل الملوك فخيرهم ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذي بعث اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جمعنا منه بالمشهور
من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل في احيا الموتى وكلامهم
وكلام السباع والجماد وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام
ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد قالا حدثني ابو عبد
الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي
الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو بن يزيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان
عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى
الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات
بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم
يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روي هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقالت ما كان الله
ليسلطك علي ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من
رواية عبد الله وذهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه
اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان تخذها
تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني
مسمومة وكذلك ذكر الحسن بن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابي هريرة لئن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي في
وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال سعيد بن المسيب اجمع اهل الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف
الروايات في ذلك عن ابي هريرة وجابر وانس وفي رواية ابن عباس انه عليه
الصلاة والسلام دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف
في قتله الذي سحره قال الواقدي وغيره عندنا وقد روي انه
قتله وروي الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا ولم يذكر اسم الله فلم يضرنا احدا قال الطيبي
ابو العسل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجا لابمة
وهو حديث مشهور واختلف ائمتنا اهل النظر في هذا الباب فمن قايل
يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة المسمومة او الخبز او الشجرة وحروف
واصوات يجدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها وتقلها عن هيئتها
وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واكثر من
ذهبوا الى ايجاد الحياة فيها او لانهم الكلام بعدة وحكى هذا ايضا
عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود
الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بجوزها فاما
اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي المعتزلة في احالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرقا لهما فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام
وهذا لو كان لكان نقله والتهتم به اكد من التهتم بنقل تسبيحه وحنينه ولم
ينقل احد من اهل السير والرواية شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع انه لا اصل ورد اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن محمد
بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رايت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجايب يصبي يولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ولم يعرف بحديثه هذا فتوفي اسم راويه وقال فيه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه المقدمة عكمة

في حجة الوداع وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق فمشى الى الوادي وناداها يا سميا يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد
اسلما فان احببت ان ارد عليهما فقالت يا حاجبي بهما وجدت الله خيرا
لي منهما وعن انس ان ثابتا من الانصار توفي ولد له غلام مجبور عمى فسجياه
وعن يمناها فقالت ماتت امي قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني
هاجرت اليك واني بنبيك رجاء ان تهيئني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي
عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
ابن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول
محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم
فقلنا فاذا هو ميت وذكر عن الحمان بن بشير ان زيد بن حارثة خر
ميتا في بعض ازقة المدينة فمر به وسجى فسمعوه بين العشاءين والنساء
يصرخن حوله يقول اسكتوا اخبرن عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي
الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل

في ابرا المرضى وذوي العاهات
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد فيما اجاز لنا وقرات عليه وغيره قال ثنا
ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن الخشاب ثنا ابو الورد عن ابيه عن هو
هشام عن زياد البكاء عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة
وجماعة ذكرهم فغيبت احاديثهم قالوا وقال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتاولني السهم لاصلي له فيقول ارم
به وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اندقت يوم بدر عن قوسه
واصيب يوم بدر عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروي
قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة وابن بدين عياض بن عمر بن قتادة
ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة ويصح على اثرهم في وجد
ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فماض به على ولاح وروى السباي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف

لي من بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم اني اسالك واتوجه
اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان بن ملاعب
الاسنة اصابه استسقينا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده
حنوة من الارض فتفل فيها ثم اعطاها وسوله فاخذها فصبها بريي ان قد
هم بي به فاتاه فقال وهو علي شفا فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك وبقال فديك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فتفث
رسول الله عليه وسلم في عينيه فابصر فوايته يدخل الخيط في الابرة وهو
ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل عن نجدة عبد الله بن انيس فلم تقح
في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصح بارنا وتفث علي صفية بنت
سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن صهاد حين اصابها
السيف ابي الكعب حين قتل بن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق اذا انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن
ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم قام برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ
ابن عفرا فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها
فلصقت رواه بن وهب ومن روايته اينا ان حبيب بن ايساف اصيب
يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه
مزده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وانتبه امراة
من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه ثم
اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس وعن بن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فتح
لقمة تخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات الحدق على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له ونفث فيه فبرئ لجينه وكان
في كف شريح الحبشي سلعة فمسحها القيض على السيف وعثار الدابة فشكاها
النبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطعنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر
وسالت جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن بيناك

شيا فيمنعه فلما استقر بي جوفها الذي عليها من الحياء لم تكن امراة بالمدينة اشد
حياء منها في اجابته دعاءه وهذا باب واسع جدا واجابته دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر عن الجملة معلوم
ضرورة وقد جاء في حديث خديفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
لرجل ادرك الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد التميمي بقراءتي
عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن الغابري ثنا ابو بكر المروذي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس
ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية
عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون
اليوم على نحو المايه وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من دنيا العيش ما
اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد
ولد ومثله دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فان عبد الرحمن فلو رفعت
حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله علي ومات فخلف الذهب
تركته بالغوى حتى حملت فيه الابديي واحدت كل زوجة ثمانين الفا وكنت
اربعا وقيل ماية الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على
ثمن وثمانين الفا وذهبي جمسين الفا بعد صدقة الفاشية في حياته
وعوافه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها بعيها
بعير وبرت عليه محمل من كل شي فتصدق بها وبما عليها وبانقابها واحلاسها
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فقال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان
يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بغير الاسلام بعمر
او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال بن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر
واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسالوه الدعاء فدعا فجاءت سحابة
فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فشكوا اليه المطر
فدعا فصحوا وقال لابي قتادة اقلع وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره
فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه بن خمس عشرة وقال للفتاة لا يفضض
الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية كان احسن الناس ثغرا واذاهم
سقطت له سن نبتت له احرى وعاش عشرين ومايتة وقيل اكثر من هذا
ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بحر العلم وترجمان

القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يبيعه فما اشتري شيأ الا ربح فيه ودعا لحمزة بالبركة فكانت عنده عشرون من المال ودعا لمشكم لعمر وقد ابن ابي الجعد قال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح الربحين الغادي قال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذه القصة ايضا وزدت لرقاقة فدعا لها عصار يعصر حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفي الخرز فكان يلبس في الشتا ثيابا بالصيف وفي الصيف ثيابا بالشتا ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنة الاسد ان لا هم جيعها قالت فما جعت بعد وسأل الطفيل بن عمرو اية لوجهه فقال اللهم نور له فنسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذي النور ودعا على مضر فاخطوا حتى استطعفته قريش فدعائهم فسنوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق لهم بقية ولا بقيت لفارس رياسة في انظار الدنيا ودعا على صبي تقطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فما استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة اطلة الاسد فاكلها وحد يثه المشهور من رواية عبيد الله بن عتبة مستوعبا من دعايه حتى قريش حين وضعوا السلاح على وقيته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال اللهم عليك بابي الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لاقتلنه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على الحكم بن حزام فمات لسبع فلقطته الاسد من بين اصحابه مرات فالقوه بين صدين ورموا عليه بالحجارة الصد جانب الغادي وحجده وجلد بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس لبعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك فيها فاصبحت شاصية من جلها اي راقدة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كرامته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم

اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة حدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم ثنا الفربري ثنا

البخاري

وقف محمد بن يحيى بجامعه

البخاري ثنا ابن بشار ثنا يحيى عن هشام بن عروة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يبطئ او به قطاف وقال فيه بطيا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا وكان بعد لا يجارى وحبس جبل جابر وكان قد اعيا فضبط حتى كان لا يمل ركابه وصنع مثل ذلك يعني بالجبيل الا ينجى خفقها بخفقة متعة وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باربعين عشرا فاركب حمارا قطوفا لسعد ابن عبادة فزده هملاجا لا يسابق وكانت شمراخ من شعره في قلنسوة خالد ابن الوليد فلم يشهد بها فتحا الا ارتفق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر لما هاجر جئت جيئة طيبة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بليستها فنحن نغسلها للحمى فنستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن الماموني قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جماعة المتاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذ نصفها الاكلة فقطعها وبات قبل الحول هو وسكب من فضل وضوئه في بير تبا فانزفت لتجدد نزق في بير كانت في داره فلم يكن في المدينة اعذب منها ومن علي بن ابي طالب فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو اليمان وماؤه طيب فطاب وابى ان يدلون كما تدلع فيه فما راطيب من المسك واغسل الحسن والحسين لسانه فمساه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لا مال عكة تهدي اليها الا بعث النبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تقصرها ثم دعا اليها فاذا هي ممتلئة سمنا فاتيا بها بعضها بيشلون بها الادم وليس عندهم شيء فتعود اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يقتل في اخواه الصبيان المراضع فيجيء بهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما امسه وعرسه لسلمان حين كاتبه فغرسها فيه على ثلاثمائة ودية يغرس بها لهم كلها فنبتت وقطم وعلي اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها لله بيده الا واحدة عزت بها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها ورسول الله صلى الله عليه وسلم وزنها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب فكان اواقها على لسانه فوزن منها لاربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهوه وفي حديث حنش بن عنبس سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة

من سوق شراتها وشربت احرها فما برحت احد شربيها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظميت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة
مطيرة عن يحيى نا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فستري سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العصا حتى دخل بيته ورأى السواد فضربه حتى خرج وغيبها
فدفنه فكانت جذل حطب وقال اضرب به حين الكس سيفه ثم يذر فماده في يده
سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به فلم يزل عنده يشهد
به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبيد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
من جريد في يده سيفا ومنه بركنه في دور الشياه الحوايل باللبن الكثير كعنة
شاة ام معبد واعتر معاوية بن قرة وشاة انس وغنم حليمة مرضعته هـ
وشاة رفاعة وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم يبق عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك نزوه يده اصحابه سقاما فعادوا اكاه ودعا فيه فلما حضرت الصلاة
نزلوا فحلوا فاذا يده لبن طيب ونزيده في غنمه من رواية حماد بن
سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو بن ثمانين فما شاب
ورؤي مثل هذا القصص عن جمع واحد منهم السايب بن يزيد ومذ لولد
وكان يوجد لعنبة بن فروة طيب يغلب طيب ثيابه لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عابد بن عمرو
وكان حج يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس
قيس بن زيد الجذامي ودعا له فمات وهو بن ماية سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم برماوت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى
الاعشى ورؤي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخي
قتادة على وجهه فزوسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كانه
يتطلى في وجهه كما يتطلى في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم
فبرك عليهم فكان حنظلة يقول يا رجل قد برم وجهي والشاة قد برم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ويضع في وجه
زينب بنت ام سلمة فتجده من ما فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما لها
ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واسنوى شعره وعلى عين كاحد من هذ
الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل بداذرة فامره ان يبضعها

بما من غير مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لعريوت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد يده مس فصك بي فجعد ذه الا ذهب المس الجنون ومج في دلو من بير شم
صب فيها فتاع منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب بيوم حنين ورمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا يبصرون الغدي عن اعينهم
وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم
امره بضمه ففعل فما نسي شيا بعده وما برؤي عنه في هذا كثير وضرب
صدر وجر بن عبد الله رضي الله عنه وكانه ذكر له انه لا يثبت على الخيل فضاد
من اقرس العرب وابتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما دعا له بالبركة فتقرع الرجال طوله وتمامه

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب يحرلا يدل
حصره ولا يتوقف عمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل
الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الامام ابن بنو محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة علي غيره قال ابو بكر نا ابو
علي الشتري نا ابو عمر الهاشمي نا المولوي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة
نا جرير عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقاما ما ترك شيا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة
ما ادري انسى اصحابي امتناسوه ام ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا تبلغ من معه ثلاثمايه فصاعدا الا قد
سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طايرا جناحيه في السما الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل
الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم وما وعدهم به من الظهور
على اعدايهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهورهم الامن
حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستعزي وتفتح
جيرها على يدي يعلي بني عدي ومايفتح الله على امتي من الدنيا ويوتون من زهر
وتسمنهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتون والاختلاف والاهوا
ويسالون سبيل من تبلهم واقتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانهم ستكون لهم اغاط وبغد واحدهم في حلقة ويروح في احزاي

ونوضع بين يديه صفحتان وتوضع احجاري واستون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال
احدثكم الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانتم اذا مستوا الطيلسان وخدمتهم بنات
فارس والروم ردا بعضهم بأس بعض وسلط شرارهم على خيارهم وظالمكم الترك
والخزر والروم وذهاب كسري وقارس حتى لا كسري ولا قارس يعقبه وذهاب
قيصر حتى لا يتصور بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى احد الدهر وبذها
الا مثل فما لا مثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
والسويل للعرب من شر قد اقترب وانه ذويت له الارض فاري مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فكذلك كان امتدت في الشرق
والمغارب ما بين ارض الصداقصى المشرق الى بحر طبرية حيث لا يعاينه وزاده
وذلك مالم يملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب بن العربي
الى انهم العرب لانهم المختصون بالسنن بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم
اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم
امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واكناف
بني امية وولاية معاوية وقضاء والخاذ بني امية قال الله ولا خوف ولا
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما
ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه
من هذه اي لحيته من دم رأسه وانه سيخرج اناس يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه
النار وكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليهم من الروافض
كفروه وقال لقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان عسى ان يلبسه قميصا
فانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله واه الفتن
لا تظهر ما اقر عمر حيا وبحاربة ان بيرلعلي ونباح كلاب الحوب على بعض
ان واجد وانه يقتل حولها فتلى كثير ونجوا بعد ما كادت تنبت على
عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله
اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من
الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة احكم موتا
في النار وكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة احزنهم موتا هرم وخوف

فاستصلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فانها
رأت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الخال من الغسل
قال ابو سعيد ووجدنا اسمه بقطر حما وقال الخلافة في قريش ولم يزالوا
هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير هو
فراوها الحجاج والمختار وان مسيلمة يدعوه الله وان فاطمة اول اهل بيتي لحوقا
به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلاثون ثم يكون ملكا فكانت كذلك مدة
الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدأ بنبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الارض واخبر بشأن
اويس القرني وبأنوا يحرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون
كذابا فيهم اربع لشوة وفي حديث اخر ثلاثون كذابا دجالا احدهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم
يأكلون فيكم ويضربونكم بحاجبهم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي
بعد ذلك قوم ليشهدوه ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة لو شئت لسميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور المقدونية قال لا تفنى وسبب اختر
هذه الامة اولها وآخرها الابصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يرد ان رهم
يبيد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج
وصفتهم والخرج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى بعضا الغنم رؤوس
الناس والمرأة الخناة يباهون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا
والاحراب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالمؤثان الذي يكون
بعد فتح بيت المقدس وما رعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر الملوك
على الاسوة وان الذين لوكان منوطا بالثريا لنالته رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا
ذلك وقال لقوم من جلسائه صفر من احدكم في النار اعظم من احد قال
ابو هريرة قد ذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم بالذي على خرزا من خرز يهود فوجدت في رجله ربا الذي على الشملة
وحيث هي ناقته حين فصلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كعاب

الى اهل مكة ويقتضيه عبيد مع صفوان حين ساره وشاوره على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا القتله واطلعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالكلام الذي تركه عمه العباس عند الفضل
بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وعنها فاسلم واعلم يا رسول الله سيقتل ابي بن خلف
وهي عتبة بن ابي لهب انه بالكلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين وليسعد اهلك
تخلف حتى يتبعك اقوام ويستشهد بك اخرون واحبن تقتل اهل موتة يوم قتلوا
ويبقى معه شهرا وزيد ويموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز
اذ ورد عليه رسولا من كسرى بان كسرى ابن تاكسري ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة
اسلم واخبا باذر ينطس بيده كما كان ووجده في المسجد نايما فقال له كيف بك اذا
اخرجت منذ الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبران اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين
بالطف واخرج بيده تربة وقال بنيها مضجعه وقال في يدين صوحان
يبسيقه منه عضو الى الجنة فتقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه
على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما
اتي عمر لبسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال لبني سدية بين وجلة ودجيل وقطربل والسراط تجتبى اليها خزائن
الارض يخسف بها بعيني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر هذه الامة من مزمون لعومه وقال لا تقوم الساعة حتى
تقتتل فيئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه
وسلم وخطب بعد خطبته وتبعهم وقوي بسايرهم وقال لخالد حين وجمته
لا كيدر انك تسيد البتر فرحيت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته
كما قال عليه السلام ابي ما اخبر بجلساء من اسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وتوالم بيده وفي الموسمين حتى ان كان هو
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته بحقايق
اسمها واعلامه بصفة المحراب الذي يصوم به ليبدين الاعصم وكونه في مشط
ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانثى التي في بني زريق وان كان كما قال ووجد

بحالاتك الصفة واعلامه قريبا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على
بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال هو
وصفته لقريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من
عرفه واعلامهم بعيرهما التي من عليها في طريقه واندارهم بوقوعها
كان كل كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون والعبرات نفد منها ما ظهر
بعد مانه كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر
الشر والخير واخبار الابل والبغال والحمير والخيل والكلاب وعرصات القيامة وعجب
هذا الفصل ان يكون دليلا نامعدد ايشتمل على اجل وحده وفيما اشرنا اليه
كفت من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاهم قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
اليس الله بكاف عبده قيل لكاف محمد اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسن بن احمد بن البنا قال انا ابو بكر محمد بن عبد الله المفاخري
قال انا ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي
ثنا ابو العباس الاصم وزيري ثنا ابو عيسى الترمذي الحافظ ثنا عبد بن حميد
ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن
شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار لنا اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط
سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد روي هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى
الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية لها هاجرت لدثور بدر وقد انفرد من اصحابه
لقضا حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع مثلها
في غزوة عطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم

فلما رجع الى قومه الذين اعزوه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد املكت فقال ابى تظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت للظهر هذا وسمعت السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفى رواية الخطابى ان غورث بن الحارث المحاربى اراد ان يفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه مستقبلا سيفه فقال الدم الذى بثيابك فالك من وجهه من لحية ثم لحى بين كتفيه وندر سيفه من يده الى لحيته وجمع الظهر وقيل فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى وقال من شاء فليجد لنى وذكر عبد بن حميد كانت حمالة الحطب تفتح المساء وهى جمر على ظهر نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يطيرها كبيا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما نزلت تبت يدا ابى لهب وذكرها بما ذكرها الله مع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يبرك احد الحق بهم فانصرف ليقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل قال لهما او كما دعوتما على فاد عولى فنجا وقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفى خبر اخر ان زرعيا عرض حين هشما فخرج يستتبع علم قريشا فلما ذكر مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع واسى ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابن جمل بصخرة وهو ساجد ودقريش ينظرون ليطرحها عليه فلوقت بيده ويبست يداه الى عنقه فاقبل يرجع القهقرى الى خلفه فسالته ان يدعوله فنعل فانطلقت يداه وكان قد توا عدهم قريش بذلك وحلف لين راه ليبدعنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لى دونه فحل ما رايت مثله قط هم بى ان ياكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم يرا النبى صلى الله عليه وسلم ورجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر انه فى هاتين القصتين نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان الاية ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة فى اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فابعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فعام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت وحكى السرقندى انه خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية فقال لرجل من اخلب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وجماعة من اصحابه فخلا معهم على قتله فاعلم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة

احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الجحفة وقد جعلت قريش فيه وفى ابا بكر الجعائل فانذر به من كان ورسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره فركب ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت فقال للنبى صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها وحزن عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فنادا هم بالامان فكتب له النبى صلى الله عليه وسلم امانا كتبه بن فهيرة هـ وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف ليقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال لهما او كما دعوتما على فادعولى فنجا وقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفى خبر اخر ان زرعيا عرض حين هشما فخرج يستتبع علم قريشا فلما ذكر مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع واسى ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابن جمل بصخرة وهو ساجد ودقريش ينظرون ليطرحها عليه فلوقت بيده ويبست يداه الى عنقه فاقبل يرجع القهقرى الى خلفه فسالته ان يدعوله فنعل فانطلقت يداه وكان قد توا عدهم قريش بذلك وحلف لين راه ليبدعنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لى دونه فحل ما رايت مثله قط هم بى ان ياكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم يرا النبى صلى الله عليه وسلم ورجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر انه فى هاتين القصتين نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان الاية ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة فى اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فابعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فعام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت وحكى السرقندى انه خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية فقال لرجل من اخلب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وجماعة من اصحابه فخلا معهم على قتله فاعلم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة

وذكر اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلي
ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد ليفعل فما قبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فقيل له ما دهاك فقال لما دنوت منه اذا فحل من الابل
ما رأيت على هامته ولا قصرته ولا انيابه مثله يريد ليتناولني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا مني لاختطفته عضوا عضوا فانزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان
الحجبي ادرك يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري
من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليضربه عليه قال فلما
دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار اوسع من البرق فولیت هاربا واحس النبي
صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن
فضالة بن عمر قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شيء كنت اذكرك الله فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيأ احب الي منه ومن مشهور ذلك حنين عامر بن
الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم ير فعل شيأ فلما كلمه
في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه فاضربك
ومن عصمته له تعالى ان كبراء اليهود والكهنة اندروا به وعيسوه لقريش
واجمعوهم بسطوتهم بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره
ومن ذلك نصره يا نوعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على مصالح الدنيا والدين وصرفه من امور شرائعه
وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبلهم وقصص هم
الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ
شرايعهم وكتبهم ودعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف اراءهم والمعرفة بمذاهبهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومعاجز كل امة من الكفرة وعصاة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم

واخلاقهم باشتراكها ومخيات على مهاوي اخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحول
على لغات العرب وعزيب الفاظ قرآنها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة
بضروب الامثال الصحيحة واحكم البينة لتقريب التفهيم للقاصي والدنيين
للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا ننا نفوذ فيه ولا تحاول مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل
لم يكن منه ملحد ذو عقل سليم شيأ الا من جهة الحد لا بل كل حاجة له وكان
من الجاهلية به اذا سمع ما يدعوا اليه ضوضى به واستخشنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما حمل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المثالبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار
اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والزجر
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
السلام فيها قدوة واصولا بني عليهم كقوله عليه السلام الرؤيا الاول عابر وهي
على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن
تكذب وقوله اصل كل داء البردة وفي رواية عنه في حديث ابي هريرة من
قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا
لا يصح لضعفه وكونه مضمونا فكلام عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير لحجامتكم يوم سبع عشرة وتسع
عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ
ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سباء ارجل هو ام امرأة او ارض
فقال رجل ولد عشرة نيا من منهم ستة وشام اربعة الحديث بطوله وكذا
جوابه في ذنب ضباعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله هبيرا سماه العرب وناقتها ومدجح
هما منها وخلصتها والازد كاهلها وحميرها وهمدان غاربها ذرؤها
وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله
يرد الحوض رجال ياتاه سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة
وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نسخ

موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعينة او للافتتاح انا اقيس بالجميل ذلك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للعمل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت انا وبعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه بن شيبا من طريق بن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له القي الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح به الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزقه علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغة العرب وحفظه معانيها واسرارها فامر مشهور وقد بينا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الاعاجم كقوله في الحديث سنة سنة وهي حسنة بالحبشية وقوله وكين الهبج وهو القتال بها وقوله في حديث ابي هريرة انكتب درة فراي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من عاين سر الدوس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها اعمر وهو كما قال ابي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا تلقاه بين ظهرانيهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قيل لنبي مثله قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت عادة معارف العرب النسب واخبارها وايامها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاستعداد بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن بقطعة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد المجحد لنبي ما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما تضمناه الا قولهم اساطير الاولين واما يعلمه بشر فقد الله قولهم ليس له لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه هكذا يرمي الجبان الذي لسنوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة وترك الكثير من القرآن وظهوره الا بعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان عبد الله صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء الملد والخطباء الالسن فقد عجزوا عن معارضته ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصور تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكنف لهم وقد كان سلمان او يعلم

الرومي

الرومي او يعينها وجبرا ويسارا على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم بكلمة مداعاة فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينيذ على كثرة عدده وتوفر طلبه وتقرح حسده ان يجلس الى هذا فيا خذ عنه ما يعارض به وينقلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يحتج به من اخبار رستم واسفنديار والاغاني العجمية صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيتالفا استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابناءهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا تخالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او مجد او كاهن بل لو كان هذا بعد كل الكان بجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا للعذر ومدحضا للحجة ومخجلا لكل مبطل

فصل ومن خصايصه عليه السلام وكراماته وباهر اياته ابناؤه مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن وزوجته كثيرة قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وقال اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالفين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية حدثنا سفيان بن القاضي الفقيه بسماعي عليه نا ابو البيت السرقندي قال نا عبد الغافر بن الفارسي ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابي نا شعبة حدثنا عن سليمان الشيباني سمع زرا بن حبيش عن عبد الله قال لقد راي من ايات ربه الكبرى قال راي جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صورهم بعضهم ليلة الاسراء شاهدوه وقد راهم بحضرة جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراي اصحابه جبريل في صورة رجل يسالة عن الاسلام والايمان وراي ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وراي سعدا على يمينه ويساره جبريل وميكايل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجل الملايكة ليلتها يوم بدر وبعضهم راي تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب

ورأى ابن سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
ما يقوم لها شئ وقد كانت الملائكة نصارع عمران بن الحصين ورأى النبي صلى
الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فحن معتنيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود
الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر بن سعد ان
مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال
بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نعمة الجن من انت فقال انا
هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر ابو اقدي قتل
خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجن لها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقالت
عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
الاية فرده الله خاسيا وهذا باب واسع فصل ومن دلايل
نبوته وعلامات رسالته ما تواردت به الاخبار عن الرهبان والاحبار
وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الحاكم
الذي بين كتبه وما وجدني ذلك من اشعار المولدين المتقدمين من
شعراء ربيعة والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان بن مجاشع ونفس بن
ساعدة وقد ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره وزيد
ابن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثمان الحميري وعلماء يهود وشامل
عالمهم صاحب تيماء وخيبر وما اتى من ذلك في التوراة والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقل عنها ثقات ممن اسلم منهم مثل بن سلام
وابني سعية وبن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ومن اسلم من علماء
يهود ونجيرا وتسطور الحبشة وضماطر وساسعة الشام وصاحب بصرى
والحارود وسلمان والجاثليق وتميم الداري وبحاري الحبشة واساقفة
نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل

وصاحب دومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وبن صوريا وبن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء يهود من حملة الحسد والعناد على البقاء على الشقاء والاجار
في هذا كثير لا تحصر وقد فتح اسماع يهود والنصارى بما ذكر في كتبهم من
صفته وسنته اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وزبرهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم المستتم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على
الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتمهم اظهاره
ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهار اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار وبذل القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى ما اتقدم به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد
ابن قارب وخثاقر واخي نجران وحدد بن جدلة الكندي وبن خلصة
الدوسي وسعدي بنت كريز وفاطمة بنت الخمان ومن لا يحد كثرة الى ما ظهر
على السنة الاقسام من بيوته وحلول وقت رسالته وسع من هوانت الجمات
ومن دبابج النصب واجراف الصنوبر وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الجارة والكثير بالخط القديم ما اكثره
مشهور واسلام من اسلم سبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن
ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجايب هو
وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور
الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك لعثمان بن ابي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تستطر للا النور وقول
الشفاء عند الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت كما يلا يقول رحمك الله وما اضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم وما تعرفت حليمة من وجها ظهراه من بركته ودرورلبنها
له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى
من العجايب لمولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبريه وحمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل
مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا وروا فاذا غاب قالوا في غيبته
لم يشبعوا ولم يرووا وكان سائر ولد ابي طالب يسجون شتاء ويصبح صلى
الله عليه وسلم مستبلا دهينا كحيلا ومن ذلك حراسته السماء بالشهب وقطع رصد

الخياطين ومنهم استراق السمع وما نشأ عليه من بعض الاستئناس والنعمة عن امور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في سترة في الجبل المشهور عند
بناء الكعبة اذا اختلا راود ليجعله على ما نقله ليدخل عليه الحجارة والعرب فسقط الى
الارض حتى رد الله عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري
ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
رأتها رأته لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى
ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو
عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاثمرت
وتدلت اغصانها عليه بحضرة من رآه وميل في الشجرة اليه في الحر الاخر
حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان
الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى
اوحي اليه ثم اعلا منه بموته ودفنه باحد واقبره بالمدينة وفي بيته وان
بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته
وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامانه وتشريفه وصلاة الملائكة
عليه حبسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يأذن
على غيره قبله ونداء الذي سمعوه ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما
روي من تغسيله الحضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه
من كرامانه وبركته في حياته وموته كما سنستقصي عن بعضه ونترك غير واحد
بدريته فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علاماته بينة متنوعة في واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه اقتصارنا من الاحاديث
الطوال على عيون الغرض وفصل المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها عملا
منا واشتمارا لا يبين من غريبه ما ذكرنا من مشاهير الايمة وحذقنا الاسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو اقتضى ان يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل
بوجهين احدهما كثرتها واننا لم نر نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله
عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها وقد بينا انا سنى على ذلك ان اردته فتامل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبيا تقف على ذلك ان شاء الله

تعالى واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز وافل ما يقع الاعجاز به عند
ائمة بعض المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر واية ان قدرها وذهب
بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وراد احزون ان كل جملة مستقلة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
قل فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من تطلق يعقوب
يعلول لبسطه واذا كان هذا في القران من الكلمات نحو من سبعة وعشرين
الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فيجيء القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ان يدمن سبعة الاف
جزء كل واحد منها معجز في نفسه شهما عجازا كما تقدم بوجهين طريق
بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزان تضاعفت
العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد
يكون في السورة الواحدة من هذا التحزية الخبر عن اشيا من الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا حتى في القران فلا يكاد يا حد العدد معجزا ند
ولا يحوي الحصر ولا هيبته ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه
السلام في هذه الابواب وعادل على امره ما اشرنا الى جملة تبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت
بعدهم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي تحاديه قومه فلما كان زمن
موسى عليه السلام غاية علم اهل السحر بعث اليهم موسى بمعجز لا شبه ما يدعون
قدر عجم عليه فجاهم منها ما حزق عاد تهم ولم يكن في قدر تهم وابطل سحرهم
وكذلك زمن عيسى اعني ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاهم امرا لا يقدر
عليه وانا هم ما لم يجسسوهم من احيا الميت وابرا الاكمه والابرص دون
معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبيا ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجعل معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر
والخبر والهانة فانزل الله عليه القران الذي لهذه الاربعة فصول من القضا
والابجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يعتد في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اسالب الاوزان
فنهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاشوار والمغيبات والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى

العدو فابطل الكهانة التي تصدقهم وتكذب عشراتهم احيانها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن الغيوب الصادقة وانبأ الانبياء والامم ابابدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخرالتي ذكرناها في معجزات القرآن تابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لاتخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا من الاعصار فيه صدقه يظهر ومخبر على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان ولا لمشاهدة زيادة في اليقين ولا لعلم اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عند هاحق وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وايانه تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو احمد وابو الهيثم قالوا ثنا الغوري ثنا البخاري ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة وهذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب عنه واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التمثيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بابا طعنوا في التخييل بها على السمعاء كالتمخرج عما لهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيل السحر او يتخيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتمخرج في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اظهر وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضي وجه ثالث على مذهبي من قال بالصرفة وان المعاندة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من

ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم اوما هو من جنس مقدورهم رضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعيير والتهديد والوعيد ايية للمعجز عن الاتيان بمثله والمعول عن معارضته وانهم منعوا عن نبي هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالانفعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدوا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معروفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك الصحيح النظر واما التحدي للخلايق اجمعين من السنين بكلام من جنس كلامهم لبابوا بمثله فلم يابوا فلم يبق بعد تقرر الدواعي على المعارضة منهم عديما الا منع الله الخلق عنها بما قال بني ابيي ان يمنع الله تعالى القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وان ينتزع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابين ايية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور ايية على سائر ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكائها وقصورعقولها وانهم ادركوا المعجز فيه بفطنتهم وجاهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من العتيط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه المنزلة بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة هم بحيث جوز عليهم وزعموا انه ربما وجوز عليهم السامري ذلك في العجل هم بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع جحامهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للاتيان بغير غاطر انها بهم من ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واحد يصبر داعيا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والصبر على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقل وصفاء لبه وبلاجاهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وفرضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا

ابا هم واياهم في نصرته واياي في معنى هذا يلوح له ويلوح ويجيب منه ويرتاح
لواحتيج اليه وحقق لكما قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المشاكل وظهورها والله الموفق

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب
على ما ذكرناه اول الكتاب ونجمع فيها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والسلام وزيارة قبره
صلى الله عليه وسلم **الباب الاول** في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته اذ انتظم بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب
الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله
عليه وسلم واجب متعين لابيم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الحسني الفقيه قراءة عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جيت به فاذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله والايمان به عليه السلام هو تصديق بنبوته ورسالته
الله والتصديق به في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بان رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان لزم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد تقرر ان الايمان به يحتاج الى العقد بالجنان والاسلام يحتاج

الى النطق

الى النطق باللسان وهذه الخال المحمودة التامة واما الخال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي كاذبون في قلوبهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم ولم لا يعتقد
فلم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان ينطقوا بالسنتهم ما ليس في
قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم حتى الاخرة حكمه اذا لم يكن معهم
ولخلوا يا الكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهارهم شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالايمة واحكام المسلمين الذين
احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امرنا بالبحث عنها بل عنى النبي صلى الله عليه وسلم عن
التحكم عليها وذلك ذم وقال هلا شققت عن قلبه فالفرق بين القول
والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من
الايمان وبقيت حالتان احريان بين هذين احدهما ان يصدق بقلبه
ثم يختزم قبل انشاء وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط فيه بعضهم
من تمام الايمان القول والشهادة وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا الجنة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا من يقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره
وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول
مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة
الايمان فنوعان بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اللسان اذ الشهادة امتثال عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا
بعد تقضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابرامها وفي الزيادة
فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة
وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة
وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه
غنية فيما قصدنا ان شاء الله **فصل** واما وجوب طاعته فاذا

وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله و
الرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على تعاطيه بسوء
العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والاية
كطاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله
من رسول الا ليطاع عليه من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرايضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال
وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السري قتادي يقال اطيعوا الله في فرايضه
والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم وقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالرسالة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد
ابن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان
انا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه
سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن
عصى اميري فقد عصاني وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعته له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا
امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى قالوا يا رسول الله ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل
ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قومًا فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا
النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم

تذليل

فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من
الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم
يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا
فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس **فصل**
واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله
تسليما اين يتعادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر
الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال عيد احد من المفسرين بعثا
وقيل هو عتاب للمخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين
انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لانه الله ارسله بالهدى ودين الحق ليبين لهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى
ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم وما تجنح اليه نفوسهم وان محبة
ايامهم باتباعهم له ورضايهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي
عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله
الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وقال الحب
من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال التأميل

تقصي الاله وانت تظهر حبه ٭ هذا العريق في القياس بديع ٭
لو كان حبك صادقا لاطعته ٭ ان المحب لمن يحب مطيع ٭

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته

لو كان اراد ته الجبل له وتكون تعني مدحه وثنا يه عليه قال القشيري فاذا
كان يعني الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد
في ذكر محبته العبد عن هذا يجول الله تعالى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الربيع عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يوسف بن معيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد قال ثنا الربيع
الجيزي ثنا ابن بكر الحربي ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد
ثنا الوليد بن مسلم عن نوفل بن يد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن
ابن عمرو الاشعري وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في
موعظة النبي صلى الله عليه وسلم اما بعد قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر ومعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكيا
على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيأ ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وفي رواية عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه
جامع القرآن ومن تهاون بالقرآن وبحديثي حشر الدنيا والآخرة امرت
امتي بان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير
الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة
قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة يسلك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرايل افترقوا

على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال
عليه السلام من احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي وعن عمرو بن
عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من
سنتي فقد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من
اجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل
اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيأ **فصل** واما ما ورد عن
السلف والايمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران
موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد القنيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد
ابن نصر ثنا قاسم بن اصبغ وهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى
ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر
فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد
صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيأ فانما نفعل
كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز من سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولاة الامر بعده سنا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رايه
من خالفها من اقتدى بها مستبصر ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن
الخطاب يتعلم السنة وتعلموا الفرايض واللحن واللغة وقال ابن شهاب يجادلونكم
يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره
حين صلى بذي الحليفة وكبر حين فتح قال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تريد ابى ابى الناس عنه
وتفعله، قال لم ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس
وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول الاقتصاد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر وكتاب من خالف السنة
كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد

على السبيل والسنة ذكر الله فما هنالك عياه من خشية الله فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه واقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها قال اقتصاد في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا فاقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يخبره بكثرة من دخل في الاسلام من اهل بلده وكثرة نصوصه هل يأخذهم بالطلة او يجليهم على البيعة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسوله الله وقال الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر وتظل الى الحجر الاسود والله لو لا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر بن ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فتعلقته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه هم نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الافعال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت بعبادان مع جماعة متجردة ودخلوا انا فاسمعتك الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم ابرح ورأيت تلك الليلة كأنا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باسمعتك السنة وجعلت اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل ٭ ٭

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية ٭ حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جمرة وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا انبأنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن الغابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد

ابن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروي عن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وذكر في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وبه قال عليه السلام وجاء بكتاب في كف كفي به يقوم حجة او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ فرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجاز لنيه وهو مما قرأه علي عين واجد قال ثنا سلاح بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن عيينة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي الذي بين جنبي فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من نفسه قال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لفظ بن ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويري نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل** في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نبأنا ابو القسم حاتم بن محمد نبأنا ابو الحسن علي بن خلف نبأنا ابو يزيد المقرئ وذي نبأنا محمد بن يوسف نبأنا محمد ابن اسمعيل نبأنا عبدان نبأنا ابي نبأنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ايايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروي هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بعناه. وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين وابا هما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وانا دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعاه فقرأها عليه وفي حديث احر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي وامي امتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بفضيلته فانزل الله الاية وفي حديث انس مرة اخرى كان معي في الجنة **فصل** فيما روي من السلف والاية من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد نبأنا المهذوي نبأنا الرازي نبأنا الجلودي نبأنا ابن سفيان نبأنا مسلم نبأنا قتيبة نبأنا يعقوب ابن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله

ومماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبيدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الي فراش الا وهو يذكر من شوقه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار ليبيتهم ويؤثرهم اصلي وتصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بن اسحاق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لخيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت اروينه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وامهاتنا وابائنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تغزل شيئا وتقول

على محمد صلاة الابرار ● صلى عليه الطيبون الاخيار ● قد كنت قواما بكا بالاسحار ● يا ليت شعري والمنايا اطوار ● هل تجمعني وحبيبي الدار ●

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول ● وروي ان عبيد الله بن عمر جد بن وجله فقيل له اذكر احب الناس اليك ينزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادته امراته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ● وروي ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان ابن حرب انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانت في اهلك تعالى زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس

الحذا يحب احدا كحبا اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن بن عباس قال كانت
امراة اذا ولدت الذي صلى الله عليه وسلم احملها يا بني ما خرجت من بطن زوج وكلا
وغنية بالغنى عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ورفعت بن عمر علي بن
الزبير بعد فكلمه فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله
ورسوله فصل في علامة محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيا اكثر
ذكره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي
صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك واولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب
باداب في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على الهوى
هو يحب نفسه وموافقته شهوته قال الله تعالى والذين تبوا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فاسماط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين النيسابوري وابو الفضل بن خيرون
قالا ثنا ابو بكر البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
ثنا مسلم بن حاطم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد
عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني
كان معي في الجنة فمن انصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ولرسوله
ومن خالفها في بعض الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها وذليله
قوله عليه السلام للذي جحده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيا اكثر ذكره ومنها
كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين
عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد
ابن معدان ومن علامات دمع كثرة ذكره لعظيمه له وبكى قبره عند ذكره والطمانينة
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله
تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومما هو بسببه
من اهل بيته وصحابته والمهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض
من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحبه وقد قال عليه السلام في الحسن
والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال
من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني
ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
من احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة
انما بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة بن زيد
احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم
وفي حديث بن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فما لحقيقة من احبك شيا احب كل شي يحبه وهذه سيرة السلف حتى
في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم
ينتفع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن
ابن علي وعبد الله بن عباس وابو جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم
طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف
سنته وابتدع في دينه واستشعار لكل امر يخالف شريعته قال الله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء
اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال لعبد الله بن عبد الله بن ابي لو شيت لاتيتك براس يعني اباه
ومنها ان يحب القران الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عايشة كان خلقه القران وحبه القران تلاوته والعمل به
وفهمه ويحب سنته ويقف عند حدوده كما قال سهل بن عبد الله علامة
حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة

حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا الزاد
وبانه الى الاخرة وقال بعض مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فاذا كان يحب
القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وحبه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام من
رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته ان يهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر والفاقة
وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري انه الفقر الي من يجري منكم اسرع
من السيل من اعلاه الوادي او الحميل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن حفص
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول
قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا فانه ذكر
نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه
وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير في محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه
وسلم وكثرت عبارتهم فيها وليس ترجع بالحقيقة الى اختلاف معقول ولكنها
اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كما قد انتفت الى
قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لاوامره هيبة له قال وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال احرق اينان المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب
وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب بحب ما احبه وكره ما كرهه وقال
احرق المحبة ميل القلب الى موافقه واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات
المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته
له اما لادراكه بادراك كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها موافقتها له ولا
يلتذ به ادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل
المعروف والمشاورعنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل
الى ان يشغبها مثال هو لاحق بلغ لقوم التعصب لقوم والتشبع من احد في
احق ما يودي الى الخلاء عن الاوطان وهتك الحرم واختزام النفوس او يكون
حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب
من احسن اليها فاذا تدبرت هذا تطرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت ان عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة المحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا

يحتاج الى زيادة واما احسانه واتعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوطان اتقد
تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايتها اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
بحبل النار واياه يا المؤمنين رؤف رحيم ورحمة العالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا وبتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه
الى جميع المؤمنين واي انعام اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة
المسلمين اذ كانت رعايتهم الى الهداية ومنقذهم من الغواية وداعيهم الى الفلاح
والكرامة ومسلمتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم هو
الموجب لهم ابقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان لك ان عليه السلام هو
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه اتفاقا فاضته الاحسان وعمم الاجمال فاذا كان الانسان يجب
ان يحبه في دنياه مرة او مرتين معترفا او مستنقذه من هلكة او مضرة مدة
الذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يجب بالطبع ملك لحسن سيرته واحكم
لما يرى من قيام طريقته او كان من بعيد الديار لما اتاها من علمه او كرم شيمته
فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد
قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصبر بصره عنه محبة فيه صلى
الله عليه وسلم **فصل** في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله
ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا القاضي الفقيه
ابو الوليد فيما قرأ علي عليه نا حسين بن محمد نا ابي سعيد بن عبد الله نا بن عبد
المؤمن نا ابو بكر العتار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل
ابن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم
قال ابقنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الامام ابو سليمان الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة اردة الخير

المنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهم آياته والتدبر فيه والذب عنه من تاويل الجاهلين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق ببنوته ونبذ الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته واحياء سنته واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق النجيبي نصيحة رسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله وآدابها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من معنى وصفات القلوب اعتقاد النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن بكر الاجري وغيره النصح لله يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته فمن حياته نصح اصحابه له يا ليتهما والحمامات عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية واما نصيحته للمسلمين له بعد وفاته فالقيام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمكابرة على اغليم سنته والتفقه في شريعته ومحبة اله بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته والحزن عنها وتفهمه والتخلق عند والشفقة على امته والبعد عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فلي ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامات من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار ري في النوم فقيل ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل له بماذا قال صعدت ذروة جبل يوشا فاشرفت علي جنودي فاعجبتني كثرتهم فمقتت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وامرنا النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على لطف وحسن

وتنبيههم

وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتفريق الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم هم ومعونتهم في امرديهم ودنياهم بالقول والعمل وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل هم ومعونتهم في امرديهم ودنياهم بالقول والعمل وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره وجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآيات الثلاث وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعزيره وتوقيره والتوقير الاكرام له وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تعاونوه وقال المبرد تعزروه بنا العود في تعظيمه وقال الا خفش تنصروه وقال الطبري تجيبوه وقوله تعزروه بناين من العز وعنى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على تحول بن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاسمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يبتدأ قبله في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا باذنه ولا يسبقوه بقول الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري في عظيم وحقهم فمن فعل ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه ان يحيف في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته وان يجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض هو دين رفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابن محمد بكي اي صح لا تنادوه بقولكم يا محمد ولكن قولوا له يا نبي الله يا رسول الله بتوقير وتعظيم وقوله ولا تجهروا له بالقول الآية قال ابن عباس لا تسبوه بالكلام ولا تخاطبوه بالخطاب ولا تنادوه باسمه كذا بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يجب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد الوجهين قال عنه لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه فقيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في مخاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

والخلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل قول ثابت بن قيس بن شماس خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم بني فاخرة بني تميم وكان في اذنه صمم فكان يرفع صوته فلما انزلت
هذه الاية التام في منزله وحبس ان يكون حبط عمله شعر ابي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نفسي انهاني الله ان يحبط اعمالي بجهلي وانا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه
الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها ابدا الا كاخي السرار وان عمر كان
اذا احدث حدثا كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله بعد هذه الاية حتى
يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في عيينة بن حصن الفزاري وزيد بن صوحان
وابن عساد بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فخلنا اغضضن من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الانصار رضوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتجيلا له لانه
معناها ارعنا سمعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كلامهم لا يرعون الا بتنبيه
لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى
الله عليه وسلم يا لرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبيه بهم في قولها المشاركة اللفظ وقيل غير هذا **فصل**
في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي
ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي قالا نبانا ابو علي الجياني قال نبانا احمد بن
عمر نا احمد بن الحسن نا احمد بن عيسى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم نا
محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد
نا حيوة بن شريح نا بكر بن عمرو عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن بسر بن
سعيد عن ابي مسلم الخولاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يرفع الينا بصره الا ابو بكر وعمر فانما كانا ينظران اليه وينظر اليهما وينبسمان اليه
وينبسم اليهما ورأى اسامة بن شريك ابيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله جلوس كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته عليه السلام اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عمرو بن مسعود جئت في جماعة من
قريش عام الفتنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى من تعظيم اصحابه
له ما رأى والله لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بساقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها جلودهم واجسادهم
ولا يسقط شعرة الا ابتدروها فاذا كان امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى
قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية
ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمه
ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا ما أدى
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة
في القضية اني وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاء يسأله عن من قضى نحبه وكانوا يهابونه ويرفقون به فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي
حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء اعتدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعزرونه بايديهم بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فما ازال من هيبته
فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته
وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر وليكن من حركته وباطن
يأخذ هيبته واجلاله بما كان يأخذه نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا

الله بن قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري
وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغيرهما واجازوه قالوا حدثنا العباس
ابن احمد بن دلهات ثنا ابو الحسن علي بن فرشا ابو بكر محمد بن احمد بن الفوج
ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال ثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرايل
ثنا بن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة
وادعو استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما احد منكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه
غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى ارحمه فلما رايت منه
ما رايت وحالا له النبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد
الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه ويحني حتى يصعب
ذلك على جلسايه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم
علي ما ترون لقد كنت اري محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا يكاد يسئل
عن حديث ابدا الا يبكي حتى ترحمه ولقد كنت اري جعفر بن محمد وكان كثير
الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه
زمانا فكانت اراه الاعلى ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرء
القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل
ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيبتقطر اي لونه
كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت ابيت عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم

يبكي

يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهيا الناس وافرهم
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت ابي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس معه ويتركونه وروي عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والرنين ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت
مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان بن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر
عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وبلغ ان انسانا يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب
له عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا
ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر بن البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني
ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى بن مسعود سنة فما
سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا او نحو هذا او فوق هذا او ما دون هذا
او ما قريب من هذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد اغرورقت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة سمعت مالك بن انس علي ابي حازم وهو يحدث فجاءه وقال ابي
لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا قايم وقال مالك جاء رجل الى بن المسيب فساله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال الرجل وددت انك لم تتعن فقال ابي كرهت
ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن
محمد بن سيرين انه قد يكون ليضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم خشع وقال ايوب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكي ما ذكرنا
ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا

حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وصلى وليس بنيا به بحديث قال
مصنف سئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مطرف كان اذا اتى الى الناس ما لكا حدثت اليهم الحديث فتنزل لم تزل كم الشيخ
تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه واعتم
ووضع على راسه رداءه ويتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان
اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائما او مستعجلا وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن صرد كانوا
يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء نحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب
ان يحدث على عين وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يتعمد
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه
ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال
نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال لي هم
كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو راكب فامر
بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
الغازي ساله مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين صوتا ثم التفت
فحدثه عشرين حديثا فقاله هشام ودددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك اديبا لبيبا لا يكتبان الحديث الا وهما
طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث
وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم

وقف محمد بك يكامه

فعله كما قال تعالى كانه رجس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فاينما نلتقما
هو شيطان وايضا فان قوله يوشع لا يتمنى فالجواب عنه انه لم تثبت له
في ذلك الوقت نبوة مع موسى كما له الله تعالى وكما قال موسى لفتاه والمروي
انه انما نبي بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل
القرآن وقصة يوسف قد ذكرنا انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في
قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكره به
احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر الملك شان يوسف عليه
السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسليط على يوسف
عليه السلام ويوشع بوسا وس وشرع وانما هو يشغل خواطرهما بامور اخر
وتدبيرهما من امورهما بنسيهما ما نسيا وانما قوله عليه السلام ان هذا واد
به شيطان ليس فيه ذكر تسليطه عليه ولا وسوسة له بل ان كان تضمنه ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان ابى بلالا فلم يزل يهدده
يهدده القبيح حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال لتوكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرمل
عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن
اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وانتفاء اشكاله **فصل**
واما قوله عليه السلام فقامت الدلايل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه
واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فسنتكلم بدليل المعجزة انفا بتمام قول الله صدق عبدي فيما
قال انفاقا وباطنا واهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فهذه السبيل عند الاهسا ذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال
بقوله ومن جهة الاجماع تغلط قرود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي
لامن مقتضى المعجزة لتسهما عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه
لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن ذكر
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام فيما اخبر عن ربه وما
اوحاه اليه من وجيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى

والتخبط والصنع والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول
في ذلك كله الا حقا ولم ار ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بينا فتقول اذا
قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا
وان المعجز قايمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول
الله اليكم لا بلغكم ما ارسلت به اليكم وابين ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقد جاكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب حين بخلاف مخبره علي
اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والتعمد لما تميزلنا من غيره ولا اختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة وكاحدة من غير
خصوص فتناول بيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين
سوالات منها ما روي من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة
والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى وتنسى وفي رواية
ان شفاعتها لترجى وانها مع الغرانيق العلاء وفي اخرى والغرانقة
العلي تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما دفع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاه فعرض عليه السورة حتى
بلغ الكلمتين قال له ما جيتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في
الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في نفي اصله
والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه
احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع
به ومثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل سقيم وصحيح وصدق القاضي بكر بن العلا المالكي حيث قال لقد بلي

الناس ببعض اهل الاهوا والتخليط ولحق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواته وانقطاع اسناده واختلاف الفاظه فتارة يقول انه
في الصلاة واخر يقول قالها في ناديه قومه حين انزلت عليه السورة واخر
يقول بل حدث نفسه فنهي واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر
يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضنا
على جبريل قال ما هكذا انزلت واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الروايات ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين والناقلين لم ينشدها احد ولا عرفها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع منه حديث شعبة عن
ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما احسب الشك في الحديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا
ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير
وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فتدبر بين ذلك ابو بكر رحمك
الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما بينه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حينئذ معه واما
حديث الكلبي فلما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار وحمد الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والانس والجن هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجتمعت الامة على عصمته
صلى الله عليه وسلم وبراهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل
عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله وهو كفر وان يتسور عليه الشيطان
ويلبسه على لسانه حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى يبينه عليه جبريل عليه السلام وذلك
كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا وان
يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل

اما ان يقول على الله لا عهد له ولا سبيل الى علمه ولقد قال تعالى ولو تقول
عليها بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذهب ان هذا الكلام
لو كان كما روي لكان بعيدا الا يتمام متناقض الانتظام ممتزج المدح بالذم متخاذل
الاسليب والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم وليا من جهة من المسلمين
وصناديد المشركين من يخفى على الله ذلك وهذا لا يخفى على ادنى ملاحل فكيف
بمن بلغ حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المسلمين ومعاندي المشركين وشعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لا ول وهلة وتغليط العدو على النبي صلى الله
عليه وسلم لاقل فتنة وتغييرهم المسلمين والشبات بهم الى البيئة بعد الغيبة هو
وارتداد من في قلبه مرض من اهل الاسلام لادنى شبهة ولم يجد احد
في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان لذلك
لوجدت قرائن بها على المسلمين الصولة ولقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء
ردة وكذلك ما روي في قصة المغيبة ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغيب للعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو انكت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ان ذلك بعض شيا طين الانس
او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين وجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة انه لما نزلت وان
كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لان الله
عز وجل ذكر انهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن
اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى
لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء مدح المتهم وانه قال عليه السلام افتريت
على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله

تعالى

تعالى ويكاد سنابرقه يذهب بالابصار ولم يذهب بها وكاد احقيها لم يفعل
قال القشيري القاضي ولقد طالبه قرابيش وتنيف اذ من بالفهم ان
يقبل بين جمعهم الى مراده وعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل
قال ابن الانباري وما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية
نظائر سيرا حسن مما ذكرتما من فضل الله على عصمة رسوله بين دسيستها
فلم يبق في الآية الا ان اسما متن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به
الكفار وراموا من فتنته ومراد تامن ذلك كل نقيصة وعصمه صلى
الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما الشاهد الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد
اجاب عن ذلك ايمة المسلمين باجوبة منها الامن والتسليم فمنها ما روي فقد
وتقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قوله هذه السورة
تجري هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
مثله في حال من احواله ولا يخلفه الله على لسانه ولا يسلط الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسمي فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان
يقول عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يمكن ان الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتا لا ثة على تقدير التقدير
والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد اسكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد
وانه ليس من المتلو وهذا احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي
يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليم ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امر ورتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي
تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتا
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث لم يتمكن وعا اليه من اكتفاء فطنوها من قول رسول الله صلى الله

هذا
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة فيدل ذلك على ما اثر
الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف
منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والبهتة وسبب هذه الفتنة وقد قال
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينبهه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قوله الكلبي في الاية اذا حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه
وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحو وهذا السهو في القراءة انما يقع
فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن
بل السهو عن استظهار اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكره لهجين على ما استذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو
وما لا يجوز مما يظهر في تاويله ايضا انه مما هذا روي هذه القصة
والخرافة الغلي فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان
قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار
كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة يقولهم الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم
وصحيح الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاولوا المشركون على ان المراد بهذا
الذكر الصنم وليس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم فنسخ
الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك الفتنة البين وجد
الشيطان بما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته
وكان من انزال الله تعالى له ذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدي به من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة

وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى كان الكفار ذيانا في بعض
من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليجلطوا في تلاوة النبي صلى
الله عليه وسلم ويشغلوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحملهم عليه واشاعة
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين الله
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ورفع ما ليس به العدو
كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الاية ومن
ذلك ما روي في قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا هو
فاعلم اكرمك الله ان ليس في حين من الاخبار اشارة في هذا الباب الى
يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما ضافه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا
فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم كما قال الله تعالى الا قوم
يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا الاية وروي في الاخبار
اعظم رواد لاجل العذاب ومحاله قالوا بين مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم الغداة
كما يغشى الثوب القبر قال فلت فما معنى ما روي عن ابن عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاد ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فجعل
يقول لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم
حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح يقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب
سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل فينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية لا لا توقع في
قلب مؤمن مريبا اذ هي حكاية عن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المتهم
المتهم فكيف بكافر افتري هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا
والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ير دعن احد من المسلمين

ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها
في حديث انس وظاهر حكايته حاله فليس فيه ما يدل انه شاهد ولعله حكى
ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه فلم يتابع عليه
ورواه حميد عن انس فما له واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو
الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن ربيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة
وذكرناه وليس فيه عن انس قوله شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكاية عن
المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للتشبيه والغلط عليه والتخريف فيما بلغه
ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او غلط لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهاره الرسول
لها اذ كان كما تقدم مما املاه الرسول ودل عليها واقتضى وقوعها بتوفر
قدره الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق
ذلك للعارف اذا سمع ابيات ابي تمام او بعض الكلام الحسن ابي ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من تقاطع
الاي وجهان وقراءات انزلنا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
صلى الله عليه وسلم احداها وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها
له صلى الله عليه وسلم ثم احكمها الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما
قد وجد لله في بعض تقاطع الاي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست في المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في بعض المقاطع قرئ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر
الى العظام كيف ننشزها وقرئ ننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يبعد
ربنا ولا يتسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما كتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس عن القرآن

فيصف

فيصف الله وليميه في وحدته كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه
البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى
الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تفتقر الى وجي يدل على امور الدنيا واحوال
نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع منه
شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا فانه معصوم من ذلك
في حال رضاه وفي حال سخطه وجده وهزله ومن حمه وصحته ومرضه وقد دليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وهو لذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع اخباره والثقة بجميع اخباره في اي باب
كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها
ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر يا قرا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقاله اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال عمر كذبت يا عدو الله وابضا فان اخباره واثاره وسيره وشمايله
معنى بها مستقصاة تفاصيلها ولم يرد في شيء منها احد راكه عليه السلام
لغلط في قوله قالوا واعتراضه في وهم في شيء احيز به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل في قصته عليه السلام ورجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل ولو كان ذلك مرارا لاخبروا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا
الباب كقوله والله لا احلف على يمين فاذا خيرا منها الا فعلت الذي
حلفت عليه وكقوله عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر وكما سنبين كل ما في هذا الباب من مشكل
في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وانيقا فان الكذب
متى عرف فحن احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو عليه اي وجه كان
استريب بخبره وانهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون واهل الحديث عن عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وابضا فان تعمد الكذب في امور
الدنيا معصيته والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما
يترفع عنه منصب النبوة فالمروءة الواحدة منه فيما يستشنع ويشيع
كالمحل بصاحبها ويزري بغايلها الاخفة بذلك واما فيما لا يقع هـ

في هذا الموقع فان عددنا هاهنا من الصغاير فمثل يجري على حكمها في الخلاف
فيها مختلف فيه والصواب انه تقريب النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
اذ عمدة النبوة التبليغ والاعلام والمبينين وتصديق ما جاء به النبي ويتبين
بني من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه منافض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه
لا يجوز على الانبيا خلف في قول في وجه من الوجوه لا يقصد ولا يغير فقصد
ولا يتسامح مع من تسامح في شيء من ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
التبليغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاستمرار به في امورهم
واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري بهم ويقتضي النفوس عن
قصدهم بعد وانظروا حوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الامم وسوالهم عن طالب في صدق لسانه وما عرفوا به من
ذلك واعترفوا به ما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه
وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الادلة في الباب الثاني اول
الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت
فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو
عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى يحيى ثنا عبيد الله يحيى عن مالك عن داود
ابن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام
ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلاة
ولا نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالين والفاعل لكن وقد كان احد ذلك
فما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك
ان للعلما في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بينه
التعسف والاستحقاق وها انا اقول اما على القول بتجويز السهو والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي بيناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله
جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صنيع
غير لائق به ليس ولا قصرت ولكنه على مذهب القول نجد هذا الفعل
في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره

في موضعه واما على احالة المتهم عليه في الاقوال وتجويز المتهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره فنقيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق يا طنا وظاهرا واما النسيان فاخبر
صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم يبق في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وانه لم ينطق وهذا صدق ايضا وجه ثالث ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد وجه رابع وقوا بعد هذا ما ذهب اليه بعضهم وادا احتمله
اللفظ من قوله كما تقول لم اصم يوما قط لكن اني لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومنهوم
اللفظ خلافه مع الروايات الاخر في الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت هذا ما وقع لي فيه لاجبتنا وكل من هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها
وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل والذي اقول وبظهر لي انه اقرب
من هذه الوجوه كلها ان قوله لم اقصر انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره
على غيره بقوله بلى ما احدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه ننسى ويقول
في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السايل اقصرت
الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه
ان كان جرى شيء من ذلك فعند نسي هذا سادا عيره عنه فتحقق انه نسي هو
واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انسى ولم تقصر او كل ذلك لم
يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه احسن
استنبرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا يجوز ان ينفي عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وافة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو
في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغل عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله
ما قصرت وما نسيت خلف في قوله وعندي ان قوله ما قصرت الصلاة وما
نسيت بمعنى الشرك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني
لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقا
نفسي والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اني لا انسى او انسى لسن
واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة انها كذبات الثلاث المنصوصة
في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن

ن وجه اما اخبي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لانه في القصد ولا
في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي ينبغي حتة عن الكذب واما قوله ابي سقيم
فعالم الحسن وغيره معناه سأسقم ايان كل مخلوق مستعرض لذلك فاعتذر انه
من الخروج معهم الي عيدهم بمكذا وقيل بل سقيم بالموت وقيل بل سقيم
الغلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كان الحمى تأخذه عند طلوع
نجم معلوم فلما رآه اعتذر بها وكل هذا البس فيه كذب بل هو حيز صحيح
صدق وقيل بل عرض لبستم حجة عليهم وضعف ما اراد بها نه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها واما نظره في ذلك وقيل استقامة حجته
عليهم في حال سقم وعرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعفت ابمانه
ولكنه ضعف بها مستدلا له عليهم وسقم نظره كما يقال حجته مستقيمة
ونظره معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نضمه الله تعالى في وقتها بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا
الاية فانه علق خبره بشرط نظنه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعله على هذه
طريق استكبت لنفسه وهذا صدق ايضا ولا كذب فيه واما قوله لامرأتي
فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله
تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فقد البني صلى الله عليه وسلم
فوصفها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها استحق ابراهيم عليه السلام بواحدة منها واما الحديث كان البني
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول
انما ليلبس على عدوه حذره وكتم وجهه ذهابه بذكر السواد عن موضع احز
والبحث عن اخباره سترا لمقصده هذا ليلا يخدعوه حذره وكتم وجه ذهابه
بذكر السواد عن موضع احز والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لانه يقول
بجهز والي غزوة كذا وهو جهتنا الي موضع كذا خلافه مقصد وفي غالم يكن
كالاول ليس فيه حيز يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى
عليه السلام وقد سيل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك
اذ لم يرد العلم عليه الحديث وقد قال بلى عبدنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا حيز لهذا بنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض

طرقه

طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه علي علم فوجب
حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلي الطريق الاخر فعمل علي ظنه ومعتقده
كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا تقتضي ذلك فيكون اخبارا عن
ذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد بين بقوله انا اعلم
بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخبر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمها احد الا باعلام الله من علوم غيبه
كما تقتضي الحديث المذكور في حين هما فكان موسي اعلم علي الجملة بما تقدم وهذا اعلم
علي الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله وعلمناه من لدنا علما وعتب الله عليه
بما قاله العلم انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم عليه كما قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم ليلا يقتدي
به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما
تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعالي هو
والدعوي وان تنزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم بدرجة سبيلها ودرك
سبيلها الا من عصمه الله فالمحفوظ منها اولي لنفسه وليقتدي به ولهذا قال
عليه السلام محتطا من مثل هذا ما تدعلم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا
الحديث احدي حجج الغابيين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسي ولا
يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا فنبيقنا ضلوت في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قاله انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون
فعله بامر نبي اخر وهذا ضعيف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسي عليه
السلام نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اصل الاخبار في ذلك
شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس علي العموم وانما هو علي الخصوص
في قضايا معينة لم يخرج الي اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان
موسي اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسي هو
وقال اخرا انما بعي موسي الي الخضر ليتاديب لا للتعليم فصل واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال فلا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر
الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد فما قد ساء حسن
معارفه المختصة به فاجمع المسلمون علي عصمة الانبيا من الفواحش والكبايس
الموبقات ومستندهم الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مدهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قوله الكافة

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنهم من جوزها احوذ والصحيح
ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والسبب الذي
تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف
الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله
ام لا فان قلنا جماعة لم يكن متبعا لنبي وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول
غير متصورة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وكتب الشريعة ثم اختلفت جماعتهم القائلين بهذه المقالة عليها فذهب
شيخ السنة ومقتدي فرق الامة العاشري ابو بكر الي ان طريق العلم بذلك هو
النقل ومعارضة الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك النقل ومما امكن
كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره وادلى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوجد شيء من ذلك
جملة وذهبت طائفة الي امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
مبعوثا من عرف قبله وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة
جيدة سديدة واستفاد ذلك ابي النقل كما تقدم للقاضي ابو بكر والي
الظهر وقالت فرقة احر بي بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استيقان
عند نبينا في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة
ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل بتيقن ذلك الشرع
ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واجمع وجزم بعضهم على التعيين وضبطهم
ثم اختلفت هذه المعينة فمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة
والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وبعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شيء من ذلك النقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لم ينقل
عيسى احد الانبيا فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة
عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا
حجة ايضا للاحن في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين
في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله
تعالى فيهم من لم يثبت ولم تكن له شريعة كخصم كيوسف بن يعقوب

على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية
مشرعا بهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من
التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بعدم الاتباع
هذا القول في سائر الانبيا عيث بينا او يجوز ان يبينوا اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من قال بالنقل
فانما تصور له وقوعه بعد ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم من تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان
في الوظايف الشرعية بما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك
المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم
مع امتهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقنا البلاغ وتقرير الشرع
وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل والخذهم باتباعه فيه وما هو خارج
عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو
في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فلذلك قالوا
الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه القوادح عليها يوجب
التشكيك وتسبب المطاعن واعتذر عما ورد من احاديث السهو بوجوهات تذكر
بعد هذا والى هذا ذهب ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا عن غير قصد
مستحيل عليه كما تقدم من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك
وبين الاقوال البلاغة لقيام المعجزة على الصدق في القول ومحل الفطنة
ذلك بينا فقهها واما السهو في الافعال فغير ناقض لهذا ولا قادح في
النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني فهذه حالة
النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن بل تذكرني لست انسى ولكن
انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتسهيل له عليه في التحمل

بعيدة عن سمات النقص وامّا من الطّعن فان الفايلين بجوين ذلك لم يشترطوا
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل يلهمون عليه ويتركون حكمه ما لعود
على قول بعضهم وهو الصحيح ودخل الغواضم على قولهم حتى
طويته البلاغ والبيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص بمن امور
دينه واذا وقع عليه بما لم يفعله لينبغ فيه فالاكثرون من طبقات علماء الامة
على جواز السهو والغلط عليه فيها وحوق الغترات والنقلات بفعله
وذلك بما كلفه من معاسات الخلق وسياسات الامة ومعاقات الاهل
وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على
سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وليس في هذا نبي حيط من رتبته وبنا فقن مجز له وذهبت طايفة الى منع
السهو والنسيان والغفلات والغترات في حقه عليه السلام جملة وهو
مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه
الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى فصل
في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام وقد قدمنا
في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلنا
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن
نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في
الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
الثاني حديث ابي جحيفة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث هي
حجة على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن
به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه
لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة
الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في فعله في حقه عليه السلام
غير مناف للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا
بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني
كذا وكذا آية كنت اسقطتها ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني
لا انسى وانسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني

لا انسى

لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب بعض الخوارج وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان
معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عند الشيء والسهو وانسى مع اتيابي عليه وتقريبي له
فاما نسيان احد الشيئين الى الفعه اذ كان له بعض السبب فيه ونفي الاحن
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طايفة من اصحاب المعاني وانكلام على
الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينبغي لان
النسيان ذهول وغفلة وانه كان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل وكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغل عن حركات الصلاة
ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني
لا انسى ولكني انسى وذهبت طايفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه
السلام كان عمدا وتصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه منا قض لما
لا يجلى منه بطايل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا فكال ولا حجة لهم
في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى
لاسن وقد اثبت احدا لوصفين ونفى منافضة التعمد والقصد وقال
انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من
ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم ير نقصه عيبا منهم ولا ان تنفيه
ولا حجة لهما يتين الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي
حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لفظه كقولك بيسما لاحدكم
ان يقول لشيء اية كذا ولكنه نسي ونفي الفعله وقلة الاهتمام باعتبار
الصلاة عن قلبه لكن يشغل بها عنها وانسى بعضها بعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى حز وقتها وشغل بالتحرج من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء واحتج الى من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من اداءها الى وقت الامن وهو مذهب
الشافعيين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ لها
فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد
قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان العلماء في ذلك اجوبة
منها ان المراد بانه نوم حكم قلبه عند نومه وعينه في غالب الاوقات

وقد يبدر منه غيره ذلك كما يبدر من غيره خلاف عادته ويصح هذا التاويل فوله عليه
السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول الآخر فيه ما التبت عليّ
نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم او تاسيس
سنة واظهار مشروع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لا يقظنا ولكن اراد
ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث
فيه لما روي انه كان يحرسه ملك اذا كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع عظيطه ثم
يصلي ولا يتوضا وحديث بن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل والحدث احق فكيف وفي احد الحديث نفسه ثم نام
حتى سمعت غطيطه ثم ايقظت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل لابن عباس قلبه لم
من اجل الدبوبي اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن
رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا اذ قيل فلو لا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلانا الصبح فقيل في الجواب انه كان
من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعات اول الفجر لا نصف من نامت
عينه ان هو ظاهر بدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعات اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل يمنع النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لغداة ذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها
فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان
يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القرآن اي اية الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليحيي كما بينا وبينت وكان من
سهوه وغفلته من قبله تذكرها صلى ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم عن طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والاخر على طريق الجواز لاكتسابه العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الايات جابر عليه بعد ابلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله
الى عباده ثم ليستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب وتتراد استذكاره وقد يجوز ان ينسي النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يبين نظمها

وقف محمد بك بحامه

ولا يخلط حكما ما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكرها وليس يخيل نسيانه له لحفظ الله كتابه
وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من احاز عليهم الصغاير والكلام على ما حضر
سبيل ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير في الانبياء من القنهما والمحققين ومن شايعهم على
ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فحين وكلوا احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقوال فيها للسلف مخالفة ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيها احتمالا فيما ذهبنا اليه من الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما نقص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا الاية وقوله عنه
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من
قصته وقصته داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب اي توبة
ماب وقوله لقد هممت به وهم بها وما نقص من قصته مع اخيه وقوله عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقوله النبي صلى الله عليه
وسلم في دعايه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وحزمن الغيبة
عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله وانوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال انه له وكلا
تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى ثبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فهذه قد اختلف فيها المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها
وقيل المراد ما وقع لك المراد من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان
قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغلبة وتاويل حكاه الطبري واختاره
القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن بن عطاء وعلله والذي قبله يقاوله وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين

والموسنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم كما هنا في مخاطبة لامته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امران يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الآية وبالى
ليس مبينا في الآية الاخرى يؤيد هذا قال ابن عباس فمقصود الآية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا بريئة من العيوب واما
قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما اسلف من ذنبك قبل
النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ
قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهرك حكى معناه السمرقندي وقيل
المراد بذلك ما ثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شيء يبنك حتى شرح عنك ذلك كله حكى معناه العشيري وقيل معناه
خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى النقض اي كاد
ينقضه ليكون المعنى علي من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم
بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لا نفضت
او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم من الله نهي فيعد معصية ولا
عده عليه معصية بل لتبعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك هـ
قال ابن عطية وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وجد كان
ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن
شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم
لقعدوا ولم يخرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عفا الله عنكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط ابي لم
يلزمكم ذلك ونحوه للعشيري قال وانما يتولد العفو لا يكون الا عن ذنب من لم
يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي
وروي انها نكرهة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى
السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه

بل فيه بيان ما خص به وفضل من سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا النبي عليه
بل كان عليه السلام احلت لها الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وحض و
غرض لعرض الدنيا وحده والاستكثار بهما وليس المراد بهذا النبي صلى الله
عليه وسلم ولا عليه اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمن
ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون
في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو
الكتاب السابق واستوجبتم به الصفح لمسكم في الغنايم وبزاد هذا القول تشنيعا
وبيانا بان يقال لولا ما كتبته وبينت بالقرآن وكنتم من احلت لهم الغنايم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى كلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير
في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاساري ان شاؤا
القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء هـ
او يقتل منا وهنا قليل على عهدنا فلنشاه واعلم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم
وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه
العقيبة توتزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب
رايه ورايي من اخذ بما اخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه
وان هذه العقيبة لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه
اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا بالجملة لهم
فيما سبق وقال الداودي والحبر بهذا الا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن
ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا يرضى فيه ولا دليل من رضى لاجعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال العاصي كبير الملا اخبر الله نبيه
في هذه الآيتان ناويكه وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والعفو وذكر ان

قيل هذا فاد راي مسرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فعاتبت الله ذلك عليهم وذلك قيل بدر وبان يديد من عام فجعل الله يد علي
ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم فمن شان الاسري كان على تاويل وبصيرة وعلي
ما تقدم قيل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالي اراد لحظهم من يد روكثرة
اشراكها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بنص بجم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من اجل ذلك لهم لا علي وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معني كلامه واما قوله
عليس وتولي الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك
المتصدي له من لا يتزكى وانه الصواب والاولي كان لو كشف له حال الرجلين
لا اختار والاقبال علي الاعمي وفعل النبي صلي الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذينك
الكافرين كان طاعة لله وتبليغا عنه واشتياقا كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة
له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافرين عنده
والاشارة الي الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكي وقيل اراد بعبس وتولي
الكافر الذي كان مع النبي صلي الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالي فاكلا منها بعد نهيه عن الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم اعهد اليكما عن تلكما الشجرة واقل لكما اني لكما من الناصحين
وعصي ادم ربه فغوي فليس بجهل وقيل حفظا فان الله تعالي قد اخبره بعداوة
ابليس له ولقد عهدنا الي ادم من قبل فنسي فلم نجد له عزما قال ابن زيد
نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي انسانا
لانه لا عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة لعنه استحلالا لها ولكنهما
اغتر بحلفه ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا وقد روي في هذا ادم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن خبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقيل نسي ولم يتعمد المخالفة فذلك
قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين علي ان العزم هنا
الجزم والصبر وقيل كان عنده اكله سكران وهذا بينه ضعفه لان الله تعالي
وصف جنة الخلد انها لا تسكر واذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على جواز الناسي والساهي عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعالي وعصي ادم ربه فغوي ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهذي فذكر

ان

ان الاجتباء والهداية كانا بعد المعصية وقيل بل اكلها متعمدا وهو لا يعلم انها
الشجرة التي نهي عنها لانه تاويل ان نهي الله عن شجرة مخصوصة لا علي الجنس وهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لان المخالفة وقيل تاول ان اسم عينها
نهي تحريم فان قيل فلي كل حال فقد قال الله تعالي وعصي ادم ربه وقال فتاب
عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وابي عيشت عن اكل الشجرة فعصيت
فجوابي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا احرا الفضل ان شاء الله تعالي واما قصة
يونس فقد مضي الكلام على بعضها الغا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وقد ذهب مذاهبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما لغتم الله عليه حين وجد من قومه
فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عنا الله عنهم قال والله
لا الغاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب لحاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكن هم وهذا كله ليس فيه
بعض علي معصيته الا علي قول من ذهب عنه وقوله ابن ابي الغزال المضمون قال
المفسرون تاب عند وانما قوله اني كنت من الظالمين والظلم وضع الشيء في غير موضعه
فهذا اعتراف منه عند نفسه بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن
ربه او لدعائه عليهم او لدعائه بالعذاب علي قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطي معناه تنزيه ربه عن الظلم واضاف الظلم الي نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوي ربنا ظلمنا انفسنا اذ كان
السبب في وضعهما في غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما
الي الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الي ما سطره
فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين يدلسوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم يبين الله علي شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله
عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الي قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه ابتليناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير الذي قاله ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان
قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلينيها فعاتبه الله علي ذلك وبهمه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يسلمها له وحكى هذا
المفسرون ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك في
بقوله خطيه والي نعجتك ما اضافك الي داود في الاخبار من ذلك ذهب احمد بن

نضر وابو قتام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي مجتبى قتل مسلم وقيل وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلا في نعاج علم على ظاهر الآية واما تصدير يوسف واخوته فليس على يوسف فيها تغلب ولا واما اخوته فلم تثبت بتقدم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون بن يعقوب بني منهم اباء الاسباط وقد قيل اعم كانوا جميعا فعلوا بيوسف ما فعلوه صغارا الاسنان ولهذا لم يعيروا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا اوسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعدها والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ففي هذه مذهب كثير من المفسرين والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عن السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في هم اذا واما على مذاهب المحققين من المفسرين والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس هو من همومها وخواطرها فمتجاوز عنه كهذا هو الحق ليكونن ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بخلافة النفس للذي قبل وبرئ كما سبق وقد حكى ابن حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف هم وان الكلام بينه تقويم وتأخير اي ولقد همت به لولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية وقيل في ربي انه الله وقيل للملك وقيل هم بها اي بين رجليها وعظمها وقيل هم بها اي عزم عليها استعاذ عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها وقيل فيها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال الشيطان الى يوسف سبيلا حتى ضيعه الله فالتي عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما حبس موسى مع فتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى على انه من عدوه قال كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه يا لعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي غفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر

وقال

وقال المقاتل لم يقتله عن عمد وقيل المقتول واسمه وكزة يريد فساد نفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهي مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه الفتنة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وعيش ذلك وقيل معناه خلصناك اخلصناك قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار وظاهرها بطن الا انها استعمل في عرف الشرع في اختبار المذموم اي ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من اراد الموت جاءه فلطم عينه فقتلها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جايز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لا ندلما وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه حينئذ علم انه جاء الموت فدافعه عن نفسه لعله انه اتى ذهابا عين تلك الصورة التي تصور لها الملك امتحانا من الله فلما جاء جده واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم للمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تأول له قديما بن كيبة وغيره عن صكه ولطمه بالجملة وفقء عين حجله وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكي فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مايه امراة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله تأكيد اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل انه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه انه احب بقلبه ان يكون الحق لاختياره على حصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما تعلله الاخباريون من تغليب الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في ملكه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا

وقد عصم الانبيا من مثله قال سهل لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان ذلك
همنا اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وقد ذلك ليتفذ
مراد الله تعالى والثاني انه لم يجمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي اي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نقاسة
بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما
سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال به ذلك هو
وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كما اختص غيره
من انبيا الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته
كما لان الحديد لا يلين واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة ونحو هذا واما نفضه نوع نظافة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل
وظاهر اللفظ يقوله تعالى انا سنجزك واصدق فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد
علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من
اهله الذين وعده بجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه
انه معذب الذين ظلموا وبينا عن مخاطبته لهم فاخذ بهذا التاويل وعتب
عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسوائه ما لم يأذن له في السوال فيه وكما ذهب
فيما حكاه النقاش لا اعلم كيف ابله وقيل ان الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضي علي
نوع معصية سوى ما ذكرنا من تاويله واقدامه بالسوال فيمن لم يوذن له
فيه ولا عصى عندنا وما روي في الصحيح من ان نبيا فرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله اليه قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث
ما يقتضي ان نبي ابي معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا يقتل من يرى بحبسه
حبسه ويمنع المنعمة بما اباح الله تعالى الا ترى انه هذا النبي كان ناذنا لاكلت
الشجرة فلما اذن لها اكلت وقوله برجله عنها مخاطبة تكرار الادبي عليه وليس فيما
اوحي اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال
تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل اذنه هو بقية
خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من غيبته المتدهنات
وليات في كل هذا ما يعتبي عنه فيعصى به ولا نفى فيما اوحي الله اليه يوجب لله ولا
بالتوبة والاستغفار وعند والله اعلم قال قتيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا وقد اخذ بذنبه او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فصل قال نفعنا الله باذا لبيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى وما ذكرتموه من القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شي فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسننه في عباده وعظم سلطانه وقوع بطشه مما يجلبهم على الخوف منه
جل جلاله والاشفاق من المواخذة بالا يوخذ به غيرهم وانهم في نظرهم بالنور
لهم يتهمونها ولا امنوا بها لم اخذوا باجلها وعوتبوا عليها وحذروا من المواخذة
بها اذا توهما على وجه التاويل او اشتموا ونزيد من امور الدنيا المباحة خايفون
وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ما خوذ من الشي الدني الرذل
ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم
واسوا ما يجري من احوالهم لتظهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والعظايم والفواحش ما تكون بالاضافة الى هذه
الهنات في جنبه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها
بالاضافة الى علو احوالهم كالسيات وكذلك المعاصي الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سمو وتاويل نبي مخالفة وترك وقوله عوى ابي
جهل ان قلت الشجرة هي التي عنى عصيانا والى الجهل وقيل خطا ما طلب من
الخلود اذا الكلما وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوحد بقوله
لاحد صاحبي اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث قال ابن دينار ما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونه وكيلا
لا طيلن حبسك فقيل يا رب انسي قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم تواخذ
الانبيا بما قيل اذا لم يكن لهم عنده وبيجاوز عن سايرا لخلق لقلة مبالاته
بهم في اضعاف ما تواتيه من سوء الادب وقد قال المحقق الاولى
او على سياق ما قلناه اذا كان الانبيا يواخذون بهذا مما لا يواخذ
به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وجالهم ادفع لمخالهم اذا

في هذا اسوة حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لهم المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك هم زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم لذلك سببا لمزيد رتبتهم كما قال تعالى اجتباه وتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى بتت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات ورفعة واشارة الى تحقق ما قدمناه وايضا فليبنيه عين هم من البشر منهم او من ليس في درجتهم بما حدثتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويجتنبوا المحاسبة ليلتزموا الشكر ويجدوا الصبر على المحن يلاحظة تاوقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم كيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود لبسطة للنوابين قال بن عطاء يكفي ما نص الله من قصة صاحب الحوت لفضاله ولكن استزادة من نبينا عليهما السلام وايضا يقال لهم فاكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها هي مغفورة لو كانت فما الجواب بلا به فلم جوابنا عن المؤاخذة يا فعال التمهوا فالتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قاله عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتاخر فلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام ومجد لله لا لهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم ويستن بسنتهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الانبياء لارسل الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه بمعنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لغفرنا بك الله على النبي وانهما جرين والانصار والاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان

ايها الناظر بافتراء ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا ينبغي ما تقرر من امور الشرع وآدابه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وسمعا وعصمته عن الكذب وخلف القول متقدمة بنبوته الله ورسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عن قبيل البنوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح يجب عليك اعتقاده يا بني يقين وتشد عليه يدا لضنين وتتقنه فهذه الفصول خوقد رهنا وتعلم عظيم فايد بقا وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرفه صورا حكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب او نضاف اليه فيدلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار وان ظن انه طاهر به واعتقادا ما لا يجوز عليه جل بصاحبه دار البوار وهذا ما احتاط النبي عليه السلام على الرجلين اللذين رآيا ه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما امهلا صفية ثم قال لهما انه الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما نكتنا عليه في هذه الفصول فتامل جاهلا لا يعلم يجدله اذا سمع شيئا مما يري ان الكلام فيها جملة من فضول هذا العلم وان السكوت اولى وقد اشتبان لك انه من اكبر الفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول العقد ويبني عليها مسايل لا تتخرج من العقد ويتخلص بها من تشغيب مختلي العقل في عدة مبنا وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول العقد ولا بد من بنايه على مذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه التمويه وعصمته من الخطاء فيها قاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وقع خلاف في استدلال الفضل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما انه يجتري على

سفك دم مسلم حرام او ليسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وسبل
هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلم والمحققين في عصمة الملائكة هـ
فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة موصوفون
بفضلا واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا مع الاحترام هـ
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له
مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون كالاية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من التسميات
وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص المرسلين منهم المقربين واحتجوا بانبيا ذكرها في
الاخبار والتقاسيم نحن نذكرها ان شا الله بعد وبين الوجه فيها ان شا الله والصواب
عصمة جميعهم ونتوبه نقايهم الوقيع عن جميع ما عاط من ربتهم ومترلتهم عن جليل
مقدارهم ورايت بعض مشيوخنا اشار بان لا حاجة بنا تنبيه الى الكلام في عصمتهم
وانا اقول ان الكلام في ذلك كالكلام في عصمة الانبيا من الغوايا الذي ذكرنا هـا
سوى فايدة الكلام في الاول والا فالحال هي ساقطة هاهنا فما احتج به من
لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار وتنقل
المفسرين وما روي من علي وابن عباس في حبرها وايضا فيما تلا على اكرمك الله
انا هذه الاخبار لم يرد منها شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي ثبت في القران اختلف العلما في
معناه وانكر ما قال بعضهم منه كيف من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترايهم كما نصه الله اول الايات من افترايهم
بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
وها نحن نجتهد في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالى
فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان دخل هما
المراد بالملكين لم نذ وهل الفراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما
يعلمان من احد حتى نا فيه او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان علمه كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال
الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس تعليم اذا رايه يقولان

لي ها تيطلب تعلم لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تحتجوا بكذا فانه
كفر فلا تكفروا فتعلي هذا فعل الملكين طاعة ونصر فيما امرا به ليس بمعيبة
وبي لعيز ها فتنة وروي بن وهب عن خالد بن ابي عمران ذكي عنده
هاروت وماروت وانما يعلمان السحر فقال نحن نترههما عن هذا فقلنا
بعضهم وما انزل على الملكين بابل هاروت وماروت فقال ما لم ينزل
عليهما وهذا خالد على جلالة وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما ماذون شا في تعليمه بمعنى يطلقا له بيبينا انه كفر وانه امتحان
من الله وابتلا فكيف لا ينزههما عن كبايره المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقول خالد لم يترلا بسوء ما شا فينة وهو قول ابن عباس قال مكي وتفويض الكلام
وما كفر سليمان صلى الله عليه وسلم يريد السحر الذي اتخذته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي بما جبريل ومكايل ادعا
اليهود عليهما الجي به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا بعملهم الذي السحر ببابل هاروت وماروت فيسل عاد جلالة نقلا
قال الحسن كان هاروت وماروت ملكين من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر
اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان لهنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كان ملكين من
بني اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فتحمل الاية
على تغويب ابي محمد مكي حسن ينزه الملايكة وينتهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وقد وصفهم الله بانهم مطهرون كرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم وما
يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملايكة وتربيبا بينهم ومن خزان الجنة الى
احين ما حكوه وانه استثناه من الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا
لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو
قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملايكة من الارض حين افسدوا والا استثنا من غير الجنس شايع في كلام
العرب وقد قال تعالى وما علمهم به من علم الا اتباع الظن وما رووه في الاخبار
انه خلق من الملايكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا واهد
فحرقوا ثم احرقوا كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل
لها نزه عنها اصحاب الاخبار فلا ينشغل بها والله اعلم الباب
الثاني فيما يجب عليهم من الامور الدينية ويطرا عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا ان عليه السلام وسايرالانبيا والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص
للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات والآلام والاسقام وتخرج كما سبق الحمام بايجوز
على البشر وهذا الكلام ليس بمنقيصة فيه لانه الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار انهم يحيون وفيها
يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر عبد رجة الغير فقد مرض عليه واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه التعب والضجر وانه الاعيا
والنصب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشج انفه وكسر رباعيته
وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم واقشر وتقرط ثم قضى نحبه فنبي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر
التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منها فقتلوا وقتلوا ورموا في
النار ونشروا بالمنا شير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من
عصمه كما عصم بعض نبينا من الناس فلين لم يكن نبينا ربه يد ابن قيمة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطايف فلم يحد احد على عيون قريش
عند خروجه الى جبل ابي ثور وامسك عند سيف عورث وحجر ابي جهل هو
ومن سراقة وان لم يفته من سحر بن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم
من سحر اليهودية وهكذا سايرا نبيائه مبتلا ومعافا وذلك ان تمام حكمته
ليظهر شوفهم في هذه المقامات وبيين امرهم وينم كلمته فيهم وليحقق باقتحامهم
لبشريتهم ويرفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم فيلا يقتلوا بما يظن من الهتهم
على يديهم ضلال الضالين بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لامورهم
ودفوز لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليه كما قال
بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها معاونة البشر ومعاناة بني ادم لمثلها كلة
واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة عند منخلعة بالملا الاعلى
والملايكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم وقد قال عليه السلام انه عيني
تنامان ولا ينام قلبي وقال ابي لست كهيبتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستني بي فاخبر ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف
وجوع وتسمم ونحوه لا يحل منها شيا باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم
الباطن لانه غيره انا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام

حاضر

حاضر القلب كما هو في يقظته حتى فقد جا في بعض الاثار انه كان محروسا
من الحديث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف
لذلك جسمه وحارت قوته فيطلب بالكلية جلده وهو عليه السلام قد اخبر
انه لا يجتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيبتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به وله فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يطيق به كما يعتري غيره من البشر مما قدمناه في بيانه فصل
قالت قلت فقد جات الله حيا والصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقرائتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن
اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله وفي رواية
احتى يخيل اليه انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا
من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف
جا ذلك عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق
عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لتستخف عقولها وتلبيسها على
امتنا لها الى التشكيك في الشرع وقد تكفل الله بحفظ الشرع والنبي صلى الله
عليه وسلم مما يدخل في امره لبسا وانا السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما
ما ورد انه يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه
داخلة في شي من تبليغه او شرعه او يقدح في صدقه لقيام الدليل هو
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه من امر دنياه
التي لم يبعث لسببها ولا افضل من اجلها وهو بها عرضة الافات كسايس
البشر فقد بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم يجلي عنه كما كان
وايضا فقد نص هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله
ولا ياتيهن وقد قال سفيانه وهذا اشد ما يكون من السحر فما يات في خبر
منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل اليه انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد

واتوالله عليّ الصيحة هذا ما وقفت عليه لاعيننا من الاجوبة على هذا الحديث مع
ما اوضحناه من معنى كلامهم وردناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه
قد ظهر لي في الحديث تاويل احبابي وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفي الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب هو
وعروة بن الزبير وكلاهما عنه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلوه في بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دلّه
الله على ما صنعوا فاستخرجه من البير وروى نحو عن الواقدي وعن عبد
الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة بينما هو نايم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره
وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس
عن النساء والطعام والشراب فيغط عليه فيكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مجموع هذه الروايات ان المحور انما تسلط على ظاهره وجوارحه
لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي
نسايه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون سحي قوله يخيل اليه انه
ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر من نشاطه وستقدم عباد ته الفدرة على النسا
فاذا في منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعل لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من
السحر ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل
الشي وما فعله من باب ما اختلط من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا الشي طرا عليه في ميزه واذا كان
هذا لم يكن في ذكر في اصابة السحر له وما يثيره فيه مما يدخل لبسا ولا يجد
به المتجدد المعترض انسا هذه حاله في جسمه فامسا
احواله في امور الدنيا فنحن نسير ها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول
والفعل اما العقد فمثل عقده في امور الدنيا الشي على وجه ويظهر
خلافه او يكون سنة على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو سفيان
ابن العاص وعيسى واحمد سماعا وقراة العامري قالوا ثنا ابو العباس احمد

ابن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرو بن ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا عبيد الله بن الدوري وعباس العنبري قالا ثنا
النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فه
فبلغت فتركوا ذلك فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشي من دينكم ه
فخذوا به واذا امرتكم بشي من راي فانما انا بشر وفي حديث انتم اعلم
بامر دنياكم وفي حديث اخر فما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا
بشر اخطي واصيب وهذا على ما قررناه بينا قاله من قبل نفسه
في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه او سنة سنها وكما حكي ان اسحاق انه عليه السلام لما
ترل بادبي مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه
الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة قال لا بل هو
الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل فانهض حتى ناتي ادنى ماء
من القوم فننزله ثم نغور ما وراه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال
اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم في الامر ه
واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فقبلها
اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل
فيها لعلم ولا اعتقاد ها ولا تفضيلها بما يجوز عليه فيه ما ذكرنا فليس
في هذا القبيصة ولا محطة وانما هي امور واعتيادية يجوز فيها من جهة
وجعلها هدى وشغل بها نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم مشغول
القلب بمعرفة الربوبية ملاذ الخوانج لعلوم الشريعة مفيد البا ه
عصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
ويكون في اثنادها وفيما سبيله الندقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المعود بالبلة والغفلة وقد قررنا من قبل عنه صلى الله
عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ه وقد بين قصة النهاء وسياسة فرق
ذهلنا ما هو معين في البشر مما قد بهنا عليه في باب معجز انه من هذا

هذا الكتاب فصل واما ما ينتقد في امر احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فيهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا البشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحق بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار وحدثنا الفقيه ابو الوليد حدثنا عبد الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابن عمر حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية ابن هريرة عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتخريج احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعات الاشبه ومعرفة الوفاق والوكام مقتضى حكم الله في ذلك فانه لو شاء تعالى لاطلعه على سرايرعباده ومجانن ضمايرامته فتولى الحكم بينهم بمجرد تبيينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شهرة ولكن لما امر امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويتعذر الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته فانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا حال لم تعلم الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تبيين قضاياه وتنزيل احكامه وياتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته ذا البيان بالفعل او نص منه بالقول وارفع لاشكال الفعل وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التاسي وانتشار الخصائص وليتقدم بذلك كل حكام امته وليسوغ لمن يليهم من بعده وبينبسط فانوت شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما يشاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يعمهم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن اخباره واحواله وغيره وما يفعله

او يفعله

وقد قدمنا ان الخلف فيما يمتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فيما يزور ورد هامنه في الامور الدينية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه ليلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط انسه وتطييب قلوب الموتوق من صحابته وتاكيدا في تجييبهم ومسرة نفوسهم كقوله لا احملك على ابن ناقة وقوله للمرأة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام اني لا امزح ولا اقول الا حقا هذا كله وما يدانيه فانما هو على غير الخبر فانما ورد به الخبر مما ظهر صورة الامر البيني في الامور الدينية فلا يصح منه ابتداء ولا يجوز عليه ان يامر احدا ليبني او ينبي احدا عن بي وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما معنى قوله تعالى اذا في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وما يماثله مما مساكه او هو يجيب تظليعه اياه كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروي نحوه عمر بن زيد عن الزهري قال ذلك جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه اخبر وجه زينب بنت جحش قد ذلك الذي اخفى في نفسه وبصح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره شيئا غير زواجه لها فقد قال انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في الغضة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فقد انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليوثم نبيه فيما احل مثل ذلك فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله

عليه وسلم عند ما اخبرته وخيرته طلاق زيد لها لكان اعظم الحرج وما لا يطيق به من مدة عيسه لما نهى الله عنه من هزة الدنيا ولها هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يهتم به الا نفاق فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم ويضمر وكيف يقال كراهتها محبته وهي بيت عنده لم يزل يراها منذ ولدت ولا كان المنافيان مجتمعين عنه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم لا بن فورك وقال البيت الصمد فتدبر فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فجواب اذا الله اعلم بنبيه انها زوجته فتاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد حتى قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله بتزويجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها فما الشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انذارها فجائة واستحسنها ومثل هذا لا انكرة فيه لما طبع عليه بنو ادم من استحسان الحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتهويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر ابن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاجتناب اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من ان يسكنت من اجل المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا وقد نهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة

لو كتم

وقف محمد بيك بجامعه

لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا ما اخفاه

فصل فان قلت فقد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال انا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر قال ثنا ابن محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قال ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما شانه اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواياته واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم عنه مفهوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي وغم ما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في مجتبى ندبوبي ابي نشاء في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجرا ذ معناه هذي يقال هجر يهجر اذا هذي هجر يهجر اذا اهجش واهجر بعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهذا رواينا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن بن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر وان يجعل قول القائل هجرا اهجر بعد هذه من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول

صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي
هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القليل لفظة واحدة والحامل للهجر مجموع شدة
الوجع لانا اعتقدنا ان يكون عليه المكبل كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول
وهو يعصمه من الناس ونحن هذا واما على رواية اهجروا وسيأتي رواية ابي اسحق
المستملي في الصحيح في حديث بن جبير عن بن عباس من رواية فتنبه فقد يكون
هذا اما جمعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم وخاطبهم بعضهم
ايجبتم يا اختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى
هذا الحديث وكيفية اختلافهم بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب وقال
بعضهم انما امر النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم ايجابها من قد بقا من اباجتها لقرائن
قوله فهلم فدل على ان قول عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه
عزمة بل امر ندب الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما رأوه
اختلطوا كمن عنده انه لم تكن عزمة ولما راوه من صوابه رأي عزم هجروا لكن
قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور
سعة الاجتهاد وحكم التخيير وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا
وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس المله وان الله قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب
الله رد على من نازعه لا على امر النبي صحابي الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي
تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما يكتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك الاقاويل كما دعا الراضفة الوصية دعين ذلك وقيل انه
كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختيار هل يتفقون
على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركهم وقالت طائفة احتمل ان معنى
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب بما طلب منه
لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره
ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر

فينا

فينا فعلمناه وكرهه علي هذا وقوله لا والله لا افعل الحديث واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير مما تدعونني اليه من ارسال الامر
وتركهم وكتاب الله وان يدعوني مما طلبتم وذكرته الذي طلب كتابا بامر الخلافة
بعده وتعيين ذلك فصل قال قيل فان وجه حديثه ايضا
الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشيني بقراءتي عليه نا ابو علي الطبري
نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم
ابن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى المضريين
قال سمعت ابي هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا
لم تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما رجل دعوت عليه دعوة
وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى
الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله
صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه
عليه السلام على الظاهر كما قال والحكم بما ذكرناها وحكمه عليه السلام
بجلده او اديه بسببه او لعنه بما انتفاه عنده حال ظاهره ثم دعاله عليه السلام
بشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحده
ان تتقبل ذلك دعاء عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله
ليس لها باهل لانه عليه السلام يجل الغضب وينتزهه الضجر لان يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب
كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا
ان الغضب مما حمله على معاقبته بلعنته او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز
عفوه عنه او كان مما جبر بين المعاقبة فيه او المعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج
الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدوده وقد يحمل ما ورد
من دعايه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير المعقل
والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت
يمينك ولا اشبع بطنك وعقري وحلقي وغيرها من دعواته وقد ورد

في صفته في غير حديث انه حليم لم يكن فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حق الحديث هو
على هذا العجيب ان اشتق عليه الكلام من موافقة امثالها احابة فما هو ربه
كما قال في الحديث ان يجعل ذلك لهم قربة له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك استعفافا على المدعو عليه وناسيا له ليلا يلحقه من استشعار والحذر
والحزن من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعايه ما يحمله على اليأس
والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده او سبه على وفق
وجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصابه وكتجربة لما احتزمه وان
تكون عقوبته في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن
اصاب من ذلك شيا فعوقب في دنياه كفارة فان قلت فما معنى حديث
الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري
في شراج الحرة اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القضية امر يريب ولكنه
صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الانتصار على بعض حقه على طريق
التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث ثم
استوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينيذ للزبير حقه وقد جعل
المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الانتداب صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه كانه وان نهي ان يقضي القاضي
وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما مستوفرا
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان منه لما لا نفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في افادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضن بشيء
يا نصيب فلا ادري احمد الم ارد ت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك يا عكاشة ان يتعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الانتصاص منه فقال الاعرابي

قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بن مام الناقة
مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم يتناه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يابى فضربه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام
لمن لم ينف عنه فهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان
حق نفسه من الامور حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اليت النبي صلى
الله عليه وسلم واما ملخص قضاله درس ورس حط حط وخلي بقضيب في يده
في بطني فاوجعني فقلت اقصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه واعا ضربه
عليه السلام فذكر راه به ولعله لم يرد يضربه بل لتضييقه الا تبيهه فلما كان
منه ابتداع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما
اعماله عليه السلام الدينوية كحكمه فيما من توفي العامي واكرى دهات ما قدمه
قد مناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرنا وكله غير قادح في النبوة
بل ان هذا ايضا على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا انه كان عليه السلام لا يحد
سها لنفسه الا من ورطة وما يقيم وموجبه دينه فضلة ذانه التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وهكذا كان فيما بينه وبين الناس من
ذلك بين معروف يفتنه او بر يرى سمعه او كلام حسن يقوله او يسمعه
او تالف يشاوره او قسر متعاند او عداوة حاسد وكل هذا الا حق بصالح
اعماله مستظم في راكي وظايف عباداته وهكذا كان يخالف في افعاله الدينوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها ويتركب في تصرفه لها قرب
الحارد في اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على
الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في
لباسه وسايراحواله بحسب اختيار ومصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل
الفضل من امور الدنيا مشاعدة لامته وسياسته وكراهيته لخلافها وان
كان تدبير غيره خيرا منه كما يترك الفضل لهذا وتدبير فضله خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما لا خيرة في احد وجهيه كحزوجه
من المدينة وكان هذا هو الذي انتخصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين
من امرهم مواعتة لغيرهم ودعاية للمومنين من قرابتهم وكراهته لان
يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بنا الكعبة على
قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا

من نفاق قلوبهم لذلك وتحريك منقدم عداوتهم لدين واهله فقال لعائشة في
الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم
ولفعلت الفعل ثم يتركه لكون غيره جبانا منه كما انتقاله من ادنى مياه يدراني اقربها
الي العدو ومن قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ولبسطت وجهه للكاذبين واعداء ويجاملهم استيلاء ولجبر نفوسهم على دخول
الناس من انقياد الناس لشوره وبذل له الرغائب رجاء يجيب اليه شيء بحيث
ودين سايه ويوثق في منزله ما يؤتى في الخادم من خدمته وبيتمت في ملاته حتى
لا يبيد وسنه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسايه الطير ويحدث مع
جلسايه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسايه
يقول ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الداخل عليه بيس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك
معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شرار الناس من اتقاه
وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهر ما قاله فالجواب
ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في
الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فيجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على
هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان بيننا لهم
باموال الله العزيزة تكيف بالكلية الليسة قال صفوان لقد اعطاني وهو من
الخلق علي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق وقوله فيه بيس ابن العشيرة وهو غير
غيبة بل هو تعريف بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ولا يغتر به ولا يوثق
بما يبذله كذا اللغة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع
مضرة لم يكن غيبة بل كان جايزا بل كان واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في
حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان مواليي بريرة ابوا بيعها
الا ان يكون لهم الولا فقال عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولا فانما
فقام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط
ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعتاقها والولاء والله اعلم لما علموها من عايشة كما لم يبيعوها حتى شرط لهم
بيعها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الحيل والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي

صلى الله عليه وسلم مبرء عما يتبع في باب اتجاعل من هذا وكل تنزيه النبي عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشتريها لم الولا انما ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثبوتها فلا اعتراض بها اذ نفع لهم يمحي عليهم كما قال الله تعالى اولئك لهم
اللعنة وقال وان اساتم فلها فلما اشترطي لهم الولا لك ويكون قياما
النبي صلى الله عليه وسلم وعظهم لما سلف لهم من شرط الولا لا نفسهم قيل
ذلك ووجهه اخر وان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولا ليس على بابه
الامر بل كان على معنى التسوية وكالاعلام بان شروطهم لا يفهم بحديث النبي
صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولا لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي
فانما شرط عين نافع واني هذا ذهب الداودي وغيره وقد يجيء النبي صلى الله
عليه وسلم وتقويم على ذلك يدل على علمهم به قيل هذا الوجه الثالث
ان معنى قوله اشترطي لهم الولا اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
ان الولا انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم فبينا ذلك
وصوبا على بخاطبة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته
في ذلك وقولهم انكم لسارقون ولم يبسر توافا على اكرمك الله ان الاية
تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليا خذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك
فلا اعتراض بركان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه يا بني
انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من رفقه وحسن عشرته
وعلى يقين من عفوي الخير له به والراحة السرور والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحكاية
سمعها ولعل ما يدل ان حسن له التاويل كانيا من كان ظن على صورته
الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لغلمانه فقيل ليوسف وبيعهم له وقيل عين
هذا ولا يلزم ان تقول لانبيا ما لم يات انهم قالوه حتى يطلعوا الخلق منه
ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما
الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبيا على جميعهم
السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله بين البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب وما نالك ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وعلى جميعهم من خلقه واحبابه واصفيائه

تاعلم وفقنا الله وايالك اذا فعال الله كلها عدل وكل انه جميعها صدق ولا سبيل
لكل انه يبتلي عباده كما قال لنعلم ليتظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم فامتحانا لهم يفيد وجه المحن زيادة في مكافاتهم وفعة في درجاتهم هذه
واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعا والتضرع منهم وتاكيدا لبصايرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على
المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسوايم ليتاسوا في البلاء بهم فيتسلوا في
المحن بما جرى عليهم ويجتهدوا بهم في الصبر ومحو الهفوات فطوبى لمن هذه
او مثلات سلفت لهم ليبلغوا الله تعالى طيبين حسنين وليكون اجرهم
اكمل وثوابهم اوفى واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين
الصيرفي وابو المفضل بن خيرون قالا نا ابو بكر الخطيب البغدادي قال نا
ابو علي السبخي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد
ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول
الله ايي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية الثلاث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمومن في نفسه وولده وماله
حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه
حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث احر اذا احب الله عبدا ابتلاه هم
ليسمع تضرعه وحكى السمي قتادي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاوه
اشد في حينين فضله وليستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال
يابني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلاء وقد حكى ان
ابتلا يعقوب بيوسف كان سببه انقاذه يسببه اليه ويوسف نامه
محبة له وقيل بل احتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل جمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم قسم ربحه واشتهاه وبكى وبكت جدته له
يحزن لبكايه وبيهما حيدا ولا علم عند يعقوب وابنه فعوتب بالبكاء
اسفا على يوسف ايي ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما
علم بذلك كان بقية حياته يامر منادية ينادي على سفحه الامن كان مغطرا

فليبتغه

فليبتغه عند الله يعقوب وعوتب يوسف بالجفوة التي نفى الله عليهما وروي
عن النبي ان سبب بلا ايوب انه دخل مع اهله فوبخته على سكتهم فكلموه في
ذلك واغتاظوا له الا ايوب فانه رفق به محافظة على ذرعه فعاقبه الله ببلايه
وفتنة سليمان لما ذكرناه من بثه في كون الجن بين جنبه اصباره او العمل
بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي
صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله مرايت النبي صلى الله عليه وسلم
يوعك وعكا شديدا قلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال
اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ما اشد حرك اضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا يضاعف لنا البلا ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليبكي بالعمل حتى يغشاه واذا كان النبي ليبتلي
بالفقر واذا كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخا وعن انس عنه عليه
السلام ان اعظم الجزا مع عظم البلا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال المفسرون في قوله تعالى من
يعمل سوا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة وروي
هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصبه منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة
تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية
ابي سعيد ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث بن
مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق
الشجر وحكمة اخرى اوجبها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع
عليها وشدتها عند تماميها لتضعف قوى نفوسهم فيسهل حتى وجودها عند قبضهم
وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم وتمرس
لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في
الشدة واللين والصعوبة والتسهولة وقد قال عليه السلام مثل المومن مثل
خامة الزرع تفيئها الريح هكذا او هكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث

انتهما الريح لحمها هنا فاسكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء والكافر
كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمه الله يعني انه يعلم ان المؤمن مرتزا مصاب بالبلاء
والامراض راض بقضاء الله حتى يلقى ربه بين اقدار الله متطاع لله لان لين الجانب برضاه
وذلة تتخطه كطاعة خامة الزرع وانقياد ها للرياح وتمايلها لهبوبها وهو معنى
حنينها ما انتهى فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما
اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجنوب جمع اي مشكر ربه ومعترفا نعمته
عليه بدفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه عليه كما فاكان يمتد السبيل لم يصب
عليه مرض الموت ولا تزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم
من الآلام ومعرفة ما لديها من الاجر وتوطينه نفسه على المصايب وقتها
وضعفها يتوالي المرض واشتداده والكافر بخلاف هذا معافا في غالب
حاله ممنع بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اذا اراد الله هلاكه تقصمه لجنبه
على غرة واحدة بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومعاساة لنزعه مع فوت نفسه وصحة جسمه اشد المه وعذابا وعذاب الاخرة
اشد كما تجمان الارزة كما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية فجاجيعهم بالموت
على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره
السلف موت الفجاءة ومنه حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة
الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ذلك ان الامراض تذير للمات
ويعقبها شدة المخوف من نزع الموت فيستعد من اصابته وعلى
ما هدها له الغائبة ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون عليه
متحلقا بالمعاد فيقتضى من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العبد
ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصيته فيمن يخلفه
او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر قد طلب التحلل في مرضه ممن كان له مال او حق في بدن او افاد
من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة كاوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته والاقتداء
بسيرته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده كما في البعض على الخلافة
او اعلم بمراده ثم لرأي الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة

عباد

عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله بجرمه الكفار غالبا لا ملاء
الله لم يزده ادوا الماء ليستدرجهم من حيث لا يعلمون كما قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه
على عضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذه
اسف للكافر والفاجر ولذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد
له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحة من نصب الدنيا
وذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه واتي الكافر والفاجر
سنينه على غير استعداد ولا اهبة ولا معدات مترددة من عجبة بل ياتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد
شيء عليه وفراق الدنيا اقطع امر صعد منه واكره شيء له واتي هذا المعنى
اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء
الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

فيمن تقتضيه او سعيد عليه السلام قال الفاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الائمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى
الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا
حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين
وسبابه كما قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد ايهاما انه سمعك وهم
يريدون مناه ويضمرون به الكلمة من الرعونة فنهي الله المؤمنين عن
التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها
عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير
النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك

نهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرمونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب ارفقا
بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي
ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم هو
المستجاب لرجل ناداه يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حبيبه
عن التكني بكنيته ليلا يتأذى بذلك وعبر عليه عن هو بدعه ويجيد بذلك
المنافقون والمستهزؤون ذريعة الى اذاه والاستزراء به فيبادر له فاذا التفت هو
قالوا انما اردنا هذا ليسكوا فتغيبت له واستخفا فا يحمله على عادة الجهال
والسفهاء ممن عليه السلام حمى ذاته بكل وجه تحمل محمتو العلماء عليه عن هذا
على ندرة حياته واجاروه بعد وفاته لانتفاع العلة والناس في هذا الحديث
مذاهب لبسط هذا موضعها وقد ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم والدليل لم يرد عن احد انه قد كان الله منع من
تسميه بعد لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد كان المسلمون
يا عونيا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض
الاحوال وقد روي ان عند عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه
ونتربصه عن ذلك اذا لم يوثر فقال تسمون اولادكم محمدا تشتمونهم هذا
وروي انه عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمي احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه تطير الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه
محمد بن زيد بن الخطاب ولا اري محمدا عليه السلام يسب بين واله لا تدعني
محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمي احد باسماء
الانبياء كلها فلهم بذلك وغيرا سماهم وقال لا تسموا باسم الانبياء ثم انفك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك
وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان
ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة
ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغيرهم احد وقال ما ضرره
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمد ان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا
القسم على بابين كما قدمنا **الباب الاول** في بيان ما هو

في حقه

في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او تنقيص اعلم وفقنا الله واياك ان
جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او بشيمة ينبي على طريق السب له
او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما بينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا
المقصد ولا نعتبر في هذه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى
مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عيب في جهته
العزيزة بنقص من الكلام او هجو او منكر من القول وزور وغيره بنحي ما جرى
من البلاء والمحنة عليه او بعضه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
له به وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله
عليهم الى هلم جرا قال القاضي ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل ومن قال ذلك مالك بن انس وهو
والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال انما عني ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء
ومثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في
المسلمين كلهم قال ابو بكر وروي مثله ابو اسيد بن مسلم عن مالك وحكى
الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم وبري
منه او كذبه وقاله سحنون فيمن سبه ذلك مرة كالزنديق وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وكفره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى وله اعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المستخف له كافر قد اوعد الله عذابا اليما وحكمه عند الائمة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابن ابي زيد بقول الله تعالى ان شانئك هو
الابتر وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب
قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى

الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل وصلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي مصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اجمع اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله ابن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى ريق النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد عيبه قتل وقال بعض حلفايا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او ببلى من انكر وعه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحان يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل وجل سمع قوما ينتدكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه والهيئة فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا القاذر في خلقه وخلقه قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قبيل له لا والحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقال له ما تقول ياعدو الله فقال الله اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العرب فقال ابن ابي سليمان لهذا بين كلامه اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لا اداه الله اويل في لفظ صراح لا يقبل لاسه الايمان وهو عين سعر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موجب لكفره فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبيد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اذا ما عليك واشار الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالك او جهل فقد جهل وسال النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى فيها الاندلسي

بقتل

بقتل بن ابي حازم المتفقه الطبيطلي وصلبه ثم يشهد عليه من استفتاه فر يحق النبي صلى الله عليه وسلم واستهتاره اياه انه مر مرة بالبيت وخرق حيدوة هر وذكر ان ذهده لم يكن قصدا وانه نزل قد رعلى الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فيها القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الغزاوي وكان شاعرا مشغفا في كثير من العلوم وكان من بعض مجلس القاضي ابي العباس من طالب الخاطرة فاغفت عليه اهون ومعكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ورسله عليهم السلام فاحضره القاضي يحيى بن عمر وعنفه من العفة واراد قتله وصلبه فطلع بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما وقعت خشبته وذاك عيد الاضحى استدارت وحولته عن القبلة فكان ايته للجميع وكبرا للناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال ليحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر تحد عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبيد الله بن المواز قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بقتل شاب فقال له لا تقتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصيته اذ هو على بصيرة من امره وبين من عصمه وقال حبيب بن الربيع الغروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما يبنه نقص قتل ما لم تأت استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله عند العلماء سباء فتصابيح فتل قايله لم يختلفوا في ذلك منقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه وبينه بعد وكذلك اقول حكم من عصمه او غيره بن غاية الصمم والبله والسهو والسبات او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نشابه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى مذاهب العلماء في ذلك وبايين ما يؤيد ذلك عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن الكتاب لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقوله تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله وان العن انما هو لبيعتهم من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين

وذكر عقوبتهم ذلك لم خص بها الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى
قتل الخرصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين
وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم من ذهب الى دمه
وبينه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الآية فنسب امر الايمان عن وجد في صدره حرجا من قضاية
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ولا يحبط
العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به
الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزئون قد كفرتم بعد ايمانكم فاهل التفسير قد كفرتم بعض كم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
محمد بن احمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد
ابن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه
عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب
نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف ومن شد من كعب بن الاشرف
فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله عبلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين ودعا على باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى
وكذلك قتل ابا رافع قالا ليل وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل بن خطل وجارتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من
الكفار وبسببه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعبد العزى بقتل جماعة
منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من يأذن باسلامه قبل القدرة عليه هـ
وقد روى البزار عن بن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معاشر قريش
مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك

على رسول

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سب
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروي
ايضا ان امراة كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها
خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث
عليا او الزبير اليقتلاه وروي بن نافع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا فابيحها فقتلته فلم يلق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ الهما حدين ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي
الله عنه ان امراة هما لت في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فقطع يدها وضرع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك
بقتلها لان حد الانبياء عليهم السلام ليس يشبه الحدود وعن بن عباس ان
امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم تقال من لي بها فقال رجل من قومها
انا يا رسول الله فتهصف فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح
فيها عنزان وعن بن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فينهرها فلا تنزجر فضاقت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي
الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى الفاضي اسماعيل وغيره واحد
من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي انه سب ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقال فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر وسلم تخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اعتضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه
او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد
استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه كتبت اليه عمر انه لا يحل قتل
امرء مسلم بسبب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير
المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في عهد

الكلام ردا لما عن واحد من اصحاب ابي حنيفة مالك ومواليي اختياره وغيرهم وقد
ادري من هو لا اعتقدها لعراق الدين افتى الرشيد بما ذكرو وقد ذكرنا مذاهب القراء
بقتله وعلم ممن لم يشترط علما او من لا يرى توبة ساحرا او يميل به هواه او يكون
ما يفعله يعمل على غير السب فيكون الخلاف هل عوسب او غير سب او يكون رجع
وتاب عن سبه فلم يقتل لما مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما ذكرناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او انتقصه عليه السلام فقد
ظهرت عليه علامة مرض قلبه وبرهان سرطون بيته وكفره ولهذا احكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي
حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر يقتل حدا وان لم يحكم
بحكم المرتد بالكفر الا ان يكون معتقدا لما عليه قوله غير منكر له ولا معترض عنه فهذا
كافر وقوله اما صريح كفره لتكذيب او نحوه او من كلمات الاستهزاء والذم هو
فاعتزاله فيها وتركه توبته عنها دليل استخلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كله لا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير بي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم كما مثلنا ومثل محمد الا قول القايل
سمن كلبك يأكل ولين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان قايل مثل هذا ان كان مستهزا به ان حكم الزنديق يقتل ولا توبة له عند غير
واحد وقد قال عليه السلام من عين دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى
الله عليه وسلم من الحرمة مزية على احاده وساب الحر من امته يجلد فكانت
العقوبة لمن سبه عليه السلام اغلظ لعظيم قدره وشرف منزلته على غيره

فصل فاذا قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له
ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وقد اذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى عليه السلام باكثر من هذا فصبر ولا قتل هؤلاء
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يتالف عليه الناس ويميل قلوبهم
اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما
بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا
تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويحتمل صبرهم وينهى عنهم ويحتمل من اذاهم ما لا يصبر
من جفاهم ما لا يحتمل الى اليوم الصبر لهم عليه وكان يرغبهم بالعطاء والاحسان وبعد
امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاصفح عنهم
ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس المتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استفحل واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره
كفعله بابن خطل ومن عمد بقتله يوم الفتح ومن اشبهه فقتله عدة من يهود
وغيرهم او غلبة من لم ينظمه قبل سلف صحبته والاختلاط في جملة
مظهري الايمان به ممن يؤديه كابن الاشرف وبني قاقع والنضير وعقبة وكذلك
قتل دعم جماعة سواهم كقتلهم بني قريظة وبني المنتفق وغيرهم ممن اذاه
حتى الغوا بايديهم وقوله مسلمين وبواطن المنافقين مستتره وحكمه عليه
السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها المنافقون منهم خفية ومع
امثاله ويحلفون عليها انها لم تبن دينكم وبها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في دينهم ويرجو عودهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وخيانتهم كما صبر اولوا العزم
من الرسل حتى فاكبرهم باطنا كما فاظهرهم وافحشهم سرا كما اظهر جهرا
ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين ذرارا واعوان وحماة وانصارا
كما جاء به الاصطفاء وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع واما نقله
الواحد ومن لم يصل درجة الشهادة في هذا اتباعا لمن سبي او عبدا فانه
والله ما لا يستباح الا بحدين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام
وانهم قالوا بل السنتهم ولم يبينوه الا شرح كيف بهت عليه عائشة ولو
كان صريح ذلك لم تتردد بحلمه ولهذا بنى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
على علمهم وقبله صدقهم في سلامهم وحيائهم في ذلك ليبايا لستتهم وطعنا
في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا
عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه بهم ولم يات انه قاتلهم بينة على نفاقهم فكذلك
تركهم وايضا فان الامر كان مستمرا باطنا وظاهرهم الاسلام مع الايمان
وان كان من اهل الذمة يا لجزية والجوار والناس قريب عهدهم

بالاسلام لم يجز قتله الحنبلي من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب
كون من يتهم بالنفاق من جهلة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين واضداده
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفر قائم وقاعدهم
منهم وعلم بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر مما يقول ولارتاب الشاهد
وارجف المعاند وانماع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الناعر وظن الحدو الظالم ان الفضل انما كان للعداوة
وطلب احد الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس
رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال اوليائه الذين بناني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنى والقتل وسلمه نظيرها واستوا الناس في علمها
وقد قال محمد بن الحوان اوا ظهروا انا نقتل لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
ليس لهم ينتهوا المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا لعلمنا بهم فلو ان احدا قتلوا قتلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في
المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
لتكونن مالكا له قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه تمنى ما اريد
بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في
مصالح اهلها فلم يرد ذلك سببا وراى انه من الاذى الذي لا تعفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يباشره وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه
صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد منه من لحاق جميع
البشر وقيل بل اراد تسامون دينكم والسام والتسامة الملال وهذا دعاء
على سامة الدين وليس بصريح سب وبهذا تجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
على بنا وليس هذا بتعريض بل السب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال
الخاصي ابو محمد مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث
هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجبه

وقف محمد بن يحيى بجامعه

الآلة الاصل المستعمل ما لا ولي في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاء
والمداراة على الدين لعلم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث العسيف هل
للخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف وابقاء لا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا
معناه عن مالك وقرناه قتل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو
اعظم من سبه اي ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حبنه منهم هو
واثرا لهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شا منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وحزب بينهم بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم
بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واه
واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة
الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جا في الحديث
الصحيح عن عايشة الله عليه السلام ما انتقم لنفسه في شي يوتى اليه قط الا
ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لا ينتقم
ممن سبه واذاه او كذبه فان هذه حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون
ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس
والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراض من الجفا
والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كحديث الاعرابي بازاره حتى اثر في
عنقه وكرفع صوت الاجنبي عنده وكحديث الاعرابي شراء منه فرسه التي
شهد لها خزيمة وكما كان من ظاهر من وجهه عليه واشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه او يكون هذا مما اذا به كافر وجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي
سمته وقد قتل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجا استيلافهم واستيلاء غيرهم كما قررنا قبل وبالله التوفيق

فصل تقدم الكلام في قتل الناقد لسبه والازراء به وغضه
باي وجه كان من تكفير او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني
لا حق به في البيان والجلاء وهو ان يكون الدليل لما قال في جملته عليه السلام
غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جملته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يكون عليه او نفي ما يجب
له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه البخل او كبيرة او هفوة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او بعض من مرتبته او ترك سنة او ندوة

علم او ذهده او يكذب بما اشتهر من امور احبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها
عنه عن قصد لرد خبره او باني بسبه من القول او فيتبح من الكلام ونوع من
السب في جملته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد ذلك ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لصحو وسكر اصابه اليه او نحو ذلك مما قبلناه
وضبط للسانه وعجرفته وتمرده في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
القتل دون تلعثم اذ لا بعد واحد في الكفر بالجهالة ولا يدعوني زلل اللسان
ولا يبقى مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وبهذا افتى الائمة كسيون علي بن خالد في نفيه الرشيد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في الاسود
بسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم انتصره
او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعد واحد يدعوني زلل اللسان في مثل
هذا وانتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود ولانه ادخل على نفسه
لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو
كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابي كما تقدم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لم
تأمرني لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جنايته اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او ادعى
به او ينفي بنوته او رسالته او وجوده او يكفر به او يستخف بقوله ذلك الى
دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر بالجماع يجب قتله ثم يخلط فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بقبيحة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه كما قال ابن
حنبل واصحابه من يروي عن محمد او كذب فيما ورثه حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل

عليه

عليه قرآن وانما هو شيء تقوله قتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن قيأ وزعم انه يوحى اليه وقال سحنون قال ابن
القاسم ذكر ذلك لابي سراء وجعل انه اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب
الله مع القرية على الله وقال استتب في يهودي نبأ او زعم انه ارسل
الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه تستتاب ان كان معلنا بذلك فان
تاب والا قتل وذلك لانه سكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال
محمد بن سحنون من شك في حرف جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند
الائمة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال عنه ابو
عثمان الحداد قال لو قال اهدمات قيل له اردت اني افا ندكان بنما هرت ولم
يكن بمتهم قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع يتبدل صفته وهو ضعيف
كمن اظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسرة ان ندبق يقتل دون
استتابة فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلتقط
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره يتردد
في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهنا هنا متردد النظر وحيرة
العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبصار المقلدين ليهلك من
هلك من بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم وحمى حمى عرضه فحسم عن القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلفت ايمتنا في رجل اعتصب بغوم
فقال له رجل على النبي محمد فقال له الطالب لاصلى الله على من صلى عليه
فقيل اتحنون هل هو ممن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم
يكن محضرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه
انما شتم الناس وهذا اخو سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى
الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل
على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم

ولا سيما ان يحمل كلامه على التفريق بينه ليدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل
قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسيئه لمن يصلي عليه الان لاجل الامر
الاخر له بهذا اصل عند غضب هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لحالة
صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل
ووقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل كان صاحب فتدق فن ثاب ولو كان
نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يبتهم البينة من
جملة الغاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفتاوى الان فمعلوم
انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم
لكل صاحب فتوى من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من
الانبياء والمرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر
بين وما نزد اليه الفاوبلات لا بد من اتمام النظر هذا معنى كلامه وحكى
عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بني اسرائيل ولعن الله نبي ادعو ذكر انه لم يرد الانبياء وانما اراد الظالمين
منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك انتي فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع
حاضر لباد ولعن من جاء بانه كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بجاله سب الله تعالى ولا سب
رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في البلد
المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب ونحو هذا من هجر القول ولا شك انه يدخل
في هذا العدد من اباية واحداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد
منقطع الى امم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله
منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قد قصد سب من في اباية من الانبياء
على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا الوقال لرجل ها شمي لعن
الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى
الله عليه وسلم قولا قبيحا في اباية او من نسله او ولده على علم منه انه من
ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قريبا من المسيئين لقتضي تخصيص
بعض اباية واخراج النبي صلى الله عليه وسلم من سبه منهم وقد كان
اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بحق ثم قال له اتتهمني فقال

الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن خيشرم يرى قتله لشناعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ
عنده ان يكون جرى لمن اتهمه من الكفار وافتى بنحو ما افتى قرطبة ابو عبد الله
ابن الحاج بحضرتي من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استتابه
بعد على كذب بما شهد به عليه ادخل في شهادة بعض من شهد عليه وهو لم اطلع
وشاهد شيخنا القاضي ابن عتاب ابن عيسى ايام قضائه اتى برجل كابر
رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فاستكبر الرجل
ان يكون قال ذلك وشهد عليه نفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهو يتحيف من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاد
ضربه بالسوط واطلقه

فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد
تنقصا ولا يذكر عيبا ولا سببا لكنه يقع بذكر بعض اوصافه او يشهد بعض
اخوانه عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل واحكمة نفسه
او لغيره او على التشبيه به او عند عضة بهيمة نالته او عضاضة لحقته ليس
على طريق التاسي وطريق المحققين بل على قصد الترفيع لنفسه او لغيره او
اوبيل الخيل وعدم التوقير لينبغي عليه السلام او قصد الهزل او
والتقرير بقوله كقول القائل ان قيل في الشوفقد قيل في النبي او ان
كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة
الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم
او كصبر ايوب او كصبر بني الله من عداه وحلم على اكثر ما صبرت وكقول
المتنبي

انا في امة تداركها الله * غريب كصالح في ثمود

وغيره من اشعار المتحرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موبي وافته بنت شبيب * غيران ليس في كما من فتيره

على ان احز البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله
عليه وسلم وتفصيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد * قلنا محمد من ابيه بديل

هو مثله في الفضل الا انه * لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي
والمعجز يحتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر

استغفاره عنا وهذا اشد وحي منه قول الاخر ۞

كواذا ما رفعت وابانه ۞ صعقت بين جنا حي جبرين ۞

وقول الاخر من اهل العصر ۞

تمكن من الخلد واستحيان بنا ۞ فصبر الله قلب رضوانه ۞

وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد

وزيره ابي بكر بن زيدون ۞

كان اباكرا ابو بكر الرضي ۞ وحسان حسان وانت محمد ۞

الى مثال هذا وانا كثرنا بشاهد هام استشفانا لما حكيناه التقريب امثلتها

والتماهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الفتك واستخفافهم بآيات

هذا الكتاب وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الدرر وكلامهم منه بما ليس لهم

به علم وتخبطهم هنا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم

فيه تهتكا واجرأهم لسانه لشر يحيى بن سليمان المعروفي

بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والتنقص وصريح الكفر

وقد اجبنا وعرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سئلنا امثلته فان

هذه كلها وان لم تنضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء والملائكة تنقصا ولست

اعني بمجرى بيتي المعروفي ولا قصد قائلها اذراء ولا عضا فاوقر النبوة

ولا اعظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة حتى

شبه من شبه في كرامة تاليها او معترفه قصد الا تنقاصها او ضرب مثل

لتطييب مجلس او اعلام في وصف لتحسين كلامه بين عظم الله حظره وشرف

قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق

هذا ان ونهى عنه القتل الادب والسجن وقوة التعزير به بحسب شناعة

مقاله ومقتضى تبجح ما نطق به وما لوى عادته لمثله او تدوح وقرينة كلامه

او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا من جاء

به وقد انكر الرشيد على ابي العتاهية قوله ۞

فان يك بابي المحمدون عون فيكم ۞ فان عمي موسى بكف خضيب ۞

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزي بعمي موسى وامر باخراجه عن عسكره في

ليلته وذكر القتبي انما اخذ عليه ايضا وكسر فيه وقاربه قوله في محمد الامين

وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازعا الاحمران الشبه فاشبهها ۞

خلقا وخلقا كما قد اشرا كان وقد انكروا ايضا عليه قوله ۞

كيف لا يدنيك من امل ۞ من رسول الله من نفر ۞

لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافته ممتدات الى اضافاته اليه ولا يضاف هـ

فالحكم في امتثال هذا اما بسطناه من طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا

امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه فقي المواز من روايته عن ابي

مصعب عند في رجل عير رجلا بالفقر فقال اخزيني بالفقر وقد دعى النبي صلى

الله عليه وسلم اللهم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في

غير موضعه اري ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان

يقولوا قد لحظات الانبياء قيلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظره

فانا كتابا كون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال

خلت هذا منزله وقال لا يكتب لي اكدا وقد كره سحنون ان يصلي على

النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الاعلى طريق الثواب والاحتساب

توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسيئ الغابي عن رجل قال لرجل قبيح

كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال ابي شيء اراد

بهذا وانكر احد فتاني التوبير وهما سلكان فما الذي اذا ارتوع دخل عليه

حين راد من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامته خلقته فان كان هذا فهو شديد لانه

حبر بي مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تعريض بالسب لذلك

وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال ۞

لستهما قال واما مالك فان ذان وقد جفا الذي ذكره عندما انكره

من عبوس الاحزا ان يكون المعبس له بد فيرهب بهيئته ذلك شيمه

الغاشيل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلة صنعته قال

مالك المطبع نريد في فعله فيقول كلفته الله يغضب عضب كذلك فيكون

اخف وما كان ينبغي لما تعرض لمثل هذا ولو كان شيء على العبوس

بعينه واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب اضعافه شدة

وليس في هذا ذم لمالك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا

في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال الرجل اسكت فانك

اعي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس

واشتد الخطب حما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن انما

اطلاق الكفر عليه لفظا لكنه محطي في استشهاده بصفة النبي صلى

الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه

وجهالة ومن جهالته الخبيثة بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه لما استفتى
وتاب واعتذر وجاء الى الله يتوب لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه
الادب فتوبته فاعلمه بالندم عليه يوجب اكفر عنه وتركت انا مسبلة استفتني
فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابو محمد بن منصور رحمه الله في وجل
تنقصه احق شيء فقال له انما تريد تعنتني بقولك وانا بشر وجميع البشر عرضة
لتحتم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فاقتناه باطلاقه سجنه وايجاع اد به
اذا لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وانا له عن سواه فهذا
ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة
وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان انكر حينئذ على وجه
الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير عنه والتحجير
له فهذا مما ينبغي امتثاله ويجب فعله وكذلك ان حكاه في كتاب ادبي عند
مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والتنبيه بما يلزمه وهذا مبينه
تاجيب وعنه ما يستخف بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقتطع
بحكمه وشهادته قرا وفتياه في المخوف وجب على سامعه الاشهاد بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من
ايمة المسلمين انكاره وتبيانه لفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وبيانا يجب سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يحفظ العامة او يودب
الصبيان فان من هذه صفته لا يوبن على افساد ذلك في قلوبهم بينا كد
في هذا الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب
وحماية عرضه متعين ونصرته على الاذى حيا وميتا مستحق على
كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفضلت به المنقبة وبان به
الامر وسقط عن الباقي الفرض ويبقى الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله
تعالى اسيعه ان لا يوديه شهادة قال ان وثق الحاكم بشهادته فليشهد
وكذلك ان علم ان الحاكم لا يري القتل بما شهد به ويري الاستتابة والادب

فليشهد

فليشهد ويلزمه ذلك واما الا ياخذه بحكاية قوله لعين حدثني المتصدين فلا ادري
فعامد خلافي الباب فليبعا المتكلم بعين من النبي صلى الله عليه وسلم والمتعرض
لسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اشرا لغير غرض شرعي يباح واما الاعتراض عليه
المتقدمة فمترددة بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه علي وجه الانكار لقولهم والتحذير من فعلهم
والوعيد عليه والرد عليه بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع في امثاله
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع
السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في
كتبهم ومجالسهم ليبينوا عوار المتقولين وينقضوا شبههم عليهم وان كان ورد لاحمد
ابن حنبل انه كاد ليعض هذا على الحارث بن اسد فقد منع احمد مثله
في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه الحكاية السابقة
عنا فاما الحكاية ذكرها عني غير هذا من حكايته سبه والازراء بمنصبه
علي وجه الحكايات والاخبار عنه والنظر واحاديث الناس ومقالاتهم
في الغث والسمين ومضاجك المجان ونوادر المستخفة والخوض في قبيل وقال
وقالا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فيما
كان من قائل الحاكي له على غير تصداه معروفة بمجرد ارتكاه او لم
تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حكايته
استحسانه واستصوابه وجزع عن ذلك ونهي عن العودة اليه وانه قدم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال رجلا يقول القرآن مخلوق
فقال مالك كافر فقالوا فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناك تلك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم يقتله فتله فان اهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى
غيره او كانت تلك عادته له واظهر استحسانه لذلك او كان من اصحابه له
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه وروايته اشعار بهجوه عليه السلام
وسبه لحكم هذا حكم الساب نفسه يوجد بقتله ولا تفهمه نسبته الى غيره
فيباح بقتله ويعجل في الهداية امره وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام
فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم روايته ما هجي به النبي صلى

وكتابه وقرانه وشركة عيني وجيد دون محمود رحمه الله اسلافنا المتقنين المحررين
لبيضهم فقدا ستطرا من احاديث المغاربي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا
روايته الا شيا ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاولى
ليروا نعمة الله من تابها واخذه المتحري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
ابن سلام رحمه الله قد تحري فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي هر
اشعار العرب في كتبه ذكر عن اسحر المهجي بن زنباع اسدا استنكرا لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم احد بريبة او نشره قليل بما يتطرق الى عرض سيد البشر
صلى الله عليه وسلم فصل الواجب الشايع ان يذكر
ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يستحيل في جوازه عليه وما يطرأ من
الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يدركوا مستهترين به وصبي في ذات
الله على شدته من مقاساة احمد ابيه واذاه محمد له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما تقيد من يومي مولده ومرجعه من معاناة عيينته كل ذلك على
طريق الرواية وهذا كره العلم ومعرفته ما صحت منه العصمة للانبيا
وما يجوز عليهم فندا من خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه عض
ولا نقص ولا ازرا ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللفظ
لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفي طبقة الدين ممن يفهم
مقاصده ويحتنون فوايده ويجتنب ذلك من عساه لا يفقهه او تخشى به فتنته
فتذكره بعض الشغف بتعليم النشا سورة يوسف كما اطوت عليه من تلك
القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن واذا كر من قول ذلك عليه
السلام مخبرا عن نفسه باستجاره لرعاية الغنم في ابتدا حاله وقال ما من
نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا
لا عضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه خلا من قصد به
المضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم من ذلك للانبيا
حكمة بالغة وتدبير لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها السياسة
امتهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله يتيمه وعيلته على طريق المنة عليه والتقريب بكرامته له
قد كر الذاكر لها على وجه التعريف حاله والحيز عن سبه به والتجني من
مخ الله فيه وعظم منته عنده ليس فيه غضاضة فيه كما لله على نبيه
وصحه وعونه اذ اظهر الله تعالى تعبده هذا على صنا يد العرب ومن ناواه

من الشرا لهم شيا فشيا وعلى اسره حتى قهرهم وملكوا من ملكه مقاليدهم
واستباحة ممالك كثيرة من الامم عنهم باظهار الله تعالى له ونا بيده
ونصره وبالمومنين والفين ملوهم واعداده بالملا يكة المسومين ولو كان
ابن ملك او ذا اتباع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل
في ابايه من ملك ثم قال ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه
واذا لينهم من صفته واحدي علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب اوشيا وبمذا وصفه بن ذي يزن لعبد المطلب هـ
وجيبن لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به
فهي مدحة له وفضيلة ثابته فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من
القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى
الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول وجو د مثل
ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومتهى الغير ومعجزة البشر وليس فيه ذلك فتنبصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراة المعرفة وانما هي الفاظ واسطة موصلة اليها غير مرادة في
نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب
والاداة في غيره فتنبصة لانها سبب الهتدا ية وعنوان الغباوة فسجان
من بارى امره من امر غيره وجعل شدة فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه اواه هما شق قلبه واخراج حشوته كان تما م
حياته ونهاية قوة نفسه ونبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هـ
هلاكه وحتم موته وفنايه وهلم جرا الى سايس مار وبي من احيا ر
وسيره وتقلبه من الدنيا ومن احليس والمطعمه والمركب دنا ضعه ومهنته
نفسه في امورهم وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتشوبته بين
حفيرها وخطيرها السمعة فنا مورها وتقلب احوالها كل هذا
من تقاصيله فمعاجزه وشرفه كما ذكرنا فمن اورد منا شيا مقرره وقصد
بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم جنة
بذلك سؤ قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخبار
واخبار سايرا لانبيا عليهم السلام في احاديث مما في ظاهره اشكال
يقتضي امورا لا تليق بهم تجاله ونحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب

ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروي منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا
فلقد كره التحدث بمثل تلك الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له انهم يحدثون بها فقال
لعلم يكن من الفقهاء وليت الناس افتنوا على ترك الحديث بها وسأعدد ما
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اورد ها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وينصرفا تهم في ما
حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة ودا خلته الاعجمية فلا يكاد يفهم كثيرا من كلام
العرب الا نضها وصريحها ولا يحقق الثاني الا بعد التعرض الايجاز ووحشيها
وتبليغها وتلويحها فتقرر قوانين تأويلها مستدرة مذ وقهم من امن به وهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في
حق الله تعالى ولا حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على
معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان نذكر على وجه
التغريب بانها ضعيفة المعاد وهيبة الاستاذ وقد ذكر الاشياخ على ابي
بكر بن فورك تكلفه في مشكلة الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يجتنبه طرحها وينبغي عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ الغشق
بالكلام على مشكل منها انما هو اذالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها
اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في
الفصل قبل هذا على طريق التذكار والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكر
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجبة من توقيره وتعظيمه ويراقب حال
لسانه ولا يجمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فان ذاكر ما قد ساء
من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه وعهوده
العدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا
اخذ في ابواب العصمة وتكلم في مجاري اعماله وافواله عليه السلام تخير من
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب سبيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية واذا تكلم في الاقوال والفعل

يجوز

يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز
ان لا يعلم الامام علم وهل يمكن الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ ويشاعته واذا تكلم في الافعال
قال هل يجوز منه الخطأ لقدرته على بعض الامور والمواهي ومواقعة الصغاير
فهو اولى واحرى مما في قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من
انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من الاعزاز
والاعظام صلى الله عليه وسلم وقد رأيت بعض العلماء يتحفظ من هذا
فتنبه منه ولم استصوب عباراته فيه ووجدت بعض الجاهلين قوله
لاجل تركه تحفظه في العبارة ما لم يبلغه وشنع عليه بما يأباه ويكفيه
قائله واذا كان هذا بين الناس مستعملا في اداءهم وحسن معاشرتهم
وحفظ ذممهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فيجتنب
العبارة القبيحة المشينة ويحسنه ويحريرها وتهذيبها فعظم الامر والخوف
ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما ورد على جهة
التعمية عنه والتنزيه له فلا حرج في تشريح العبارة وتصريحها ما لم
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا البيان الكبائر بوجه ولا الجور
في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه
وتحريم عند ذكره مجردا كتبيه عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر
عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكر كما قدمناه في القسم الثاني
وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة ايمن القرآن حكى الله
فيما تعالى عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض
بها صوته اعظاما لما ورد به واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثالث

في حكم سابه وشاتمه ومنتقصه ومؤذيه وتعقب بذلك وذكر استتابته
ومراتبه قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه
عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقاتله او تخييره
الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه يصح عليه وبعد فاعلم ان
مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله كفرا لا حدا
اذ لا تظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه نطلاله

ولا فيه كما قدمناه قبل وحكم حكم الزنديق ومسئلة الكفر في هذا القول
وشواكلت توبته على هذا بعيدا لقدرة عليه والشهادة على قوله اوجبا
لا يبا من قبل نفسه لانه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا قتل بالسب وتاب منه واظهر
التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد في مسئلة
واما ما بينه وبين الله تعالى في توبته فتقبله وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته
عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي
ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من تبعه خلافا من قال اقتله
لانه اقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفت انه خشي الظهور
عليه فباد ولذلك وجهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها
بمجيئه تائبا وفقنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسائل سباب النبي صلى الله عليه وسلم
اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولا سبيله لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
واسحاق واحد لا تقبل توبته وعندنا وفي المقبل واختلف فيه عن
ابي حنيفة وابي يوسف وحكي بن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه السلام لانه لم يقتل من ظاهر ابي ظاهر وقال القاضي
ابو محمد بن نصر يحتمل ان يسقط اعتبارا بتوبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم
يشبه البشر جنس يلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس فتلحق المعرة بجنسه وليس
سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى
يقدره المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فتقبل توبته ومن سب
النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين
ارتداده او يعفو فان توبته لا تسقط عنه حق القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط توبه من زنى وسرقة

وغيرها

وغيرها ولم يقتل سباب النبي صلى الله عليه وسلم الكفره لكن لعلي يترجح
ابي تعظيم حرمته ونزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي
ابو الفضل يريد والله اعلم لانه سب لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن يعني
الازراء والاستخفاف اولا فتوبته واظهاره انابته ارتفع عنه اسم الكفر
ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هو لابني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا وليست سبا مجردا فان تاب فكل واحد
ابي قتل فحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول
اشهر واظهر مما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من اسر ردة فهو
يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره فما شهد
عليه به واظهار الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتخييره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغيره ذلك حكم الزنديق اذا اظهر عليه وانكر وتاب
فانه قيل لكيف تثبتون عليه الكفر وبشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابها قلنا انما اثبتنا له حكم
الكافر في القتل فلا تقطع عليه في ذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة هو
انكاره ما شهد عليه ان تعمد ان ذلك كان منه وتهاونا ومعصية والله
مطلع على ذلك قائم عليه ولا يمنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض
الاشخاص وان لم تثبت له بعضها بعينه كقتل تارك الصلاة واما من علم
انه سبه معتقدا الاستحلال له فلا شك في كفره بذلك وكذلك اذا كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره وجحوده فهذا مما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
هذا قوله ومتقدم كفره واجره بعد ابي الله تعالى المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسريرته وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه
وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة
نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف في فعلي هذه الفصيلات
حد كلام العلماء ونزل فتختلف عبارتهم في الاحتجاج عليها فاجرا اختلافهم
في المواثنة وغيرها على ترتيبها ننصح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف بينهما على اختلاف
في توبة المرتد اذا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكي بن القصار انه اجماع
من الصحابة على وجوب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق واصحاب الراي
وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكر عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ ٥
وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وانتقته توبته
عند الله تعالى ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ٥
فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء انه كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي انه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن
عباس لا تقتل المتنقلة في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد
والذكر والانثى في ذلك سواء واشهر بها فذهب الجمهور وروي عن عمر
انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد ٥
قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا باس في الاستظهار
الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد ويزيد
في الاستتابة ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر انه
يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن
القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هذا ذلك واجبا ومستحبا
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال
الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي ٥
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت
توبته وحكى بن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة
ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المسند الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى من تبت عنقه واختلف

على هذا هل يعيد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال ما علمت
سمعت في الاستتابة تحديدا ولا تضييقا ويوبى من الطعام بما لا يضره
وقال اصبغ يحبس ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطابعني يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار وقال
اصبغ وابى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوفى منه
سوادا يوقف ما له اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوديا
الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال به وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع
وهو قول الشافعي واحمد وقال ابن القاسم وقاله اسحاق يقتل في الرابعة وقال
اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل وان استتابه فتاب ضرب ضربا
وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفيين فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك
بما يجب بثوته من اقرار او عدول لم يدفع وفيهم واما من لم تقم عليه الشهادة ٥
انما شهد عليه الواحد والضعيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صوابا
وكذب ادنى ما يدل على القول بثبوت توبته وهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة
السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والتبرز بالسفه والمجون فمن
هو في مرة اذا قام من شديد النكال من التضييق في السجن والشدة في القيود
ابي العقابية التي هي مستحي طائفة بما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يبتعده
عن ممكلاته وهو حكم على كل من وجب عليه القتل لكن وقت على قتل يعني
اوجبه ونزص به لاشكال وعارض اقتضاه امره وحالات الشدة في كماله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك واله وراي انها
ردة فان تاب نكل وقال في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد تلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب
النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالاقرار
والرجوع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القاضي فصل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعارض عارض اشكل في القتل لم يتبع ان
يطول في السجن ولكن يستظهر بحبسه ولو كان يزداد من المدة ما عسى ان يتبين

وحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله يحبس اشكل امره يشد في القيود شديدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب فيه وقال في مسلم ارتد اجري مذلما ولا تقتلوا
الدما الا بما امر الواضح وفي الادب بالسوط السجن كال للسما ويعاقب عقوبة
شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فانبت من عداوتهما او جرحهما
ما استظهما عنه ولم يتبع ذلك من غيرهما فامره اخف لسوط الحكم عنه
وكما لم يشهد عليه الا ان يكون من يطيق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل
التبريز فاستظهما بعداوة فهو وان لم يتبع بتقدم الحكم عليه بشهادتهما فلا
يدفع الظن صدقهما والحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي التوفيق

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض
او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة
الفقها الا ابي حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا
لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يوجع به ويعذر ويستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم الاية واستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا
ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك ثم اذا اقروا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا ذمتهم وعهادهم وانما يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن
قتلوه منهم فما كان ذلك حلالا عندهم فكذلك يجب سبهم للنبي صلى الله عليه
وسلم يقتلون به وقد ثبت لاصحابنا ظواهر تقتضي الحاق اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستنبني عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد وحكى ابو المصعب الخلاف هنا عن اصحابه المدنيين واستثنى اذا
استكرهم اسلم فتقبل سيقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف اسلم
اذا استتيب ثم تاب لانا نعلم باطنة الكافر من بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
سمعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا ما كنا نعلمه للامور وتقصد للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا باطنه
حكم ظاهره وخلاف ما يبدو منه الان فلم تقبل بعد رجوعه ولا استثنا ان

باطنه

باطنه اذ قد ثبت سرايره وصارت عليه من الاحكام ما ثبت عليه لم يسقطها
شي وقيل لا يسقط اسلام الذمي السابق قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام يذهب الذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فانا لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبيا عليهم
السلام قتل الا ان يسلم وكذا ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون
وكالة سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم قتل لانه
توبة وفي كتاب محمد احبنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روي ابن وهب عن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا فتلتموه وروي
عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى او عيسى او نحو هذا النبي عليهم لان الله اطلعهم على شكه
واما ان سب فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو
شي تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقال له ما لك قاتلك الله يغيظكم الله ففي هذا الادب
الوجيع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم يشمايرف
فانه يقتل الان يسلم كذا قال غير مرة ولم يقتل يستتاب قاله ابن القاسم
ومحمل قوله عندي ان اسلم ظاهرا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة
الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بنبينا الذي به كفروا عنه الا ان
يسلم قال محمد بن سحنون ان قيل فلم تقتله في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قبل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا
واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من ذمته استحللنا له
فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو ذبح لك

لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبيهم يجيز لنا ذلك في قول قابل كذلك
ينتقض عهده من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سب الله
من القتل كذلك لا يحصنه اذ منه قال ابو الفضل ما ذكره بن سحنون عن نفسه
وعن ابيه خالف لقول بن القاسم فيما خفف عنهم فيه مما به كفروا فتاطه
ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى ثملته اوعاش يوما وليلة ومات وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فاكلته الكلاب وسيل ابو المصعب عن نصراني قال علي خلق محمدا فقال
يقتل وقال بن القاسم سألنا الكاهن نصراني بمصر سمعه عليه انه قال مسكين
محمد يجيء كم انه في الجنة مالم يتبع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل سافيه لو تقلق
استراح الناس منه قال مالك ان نضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اكلم
فيها ثم رايت ان لا يسعني الصمت قال بن كنانة في المبسوطة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فاري للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار وحيا اذا انتقل
الى سبه ولقد كتبت الي حالك من حضره ذكر مسيلمة بن القاسم المتقدمة
قال فاخبرني مالك فكتبت بان يقتل وان نضرب عنقه فكتبت ثم قلت
يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما
اولاه به فكتبته بيدي بين يديه ثما انكره ولا عابه ونقدمت
الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وبن لبابة
في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصراني استهلت
بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول
اسلامه وبدرا القتل عنه بذلك عين واحد من المشاجرين منهم
النافي وبين الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب
الله تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي سب ربه وبين في درا القتل عنه باسلامه وقال
ابن سحنون وحد القذف وسقوطه من حقوق العباد لا يسقط عن
الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حد والله فاما حد القذف
فحق العباد كما ذلك لشيء اوعين فاوجب على الذمي اذا قذف النبي
صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ما يجب عليه

وقف محمد بيك بجامعه

هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل ام زيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الصلاة

عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان ينتج النبي صلى الله عليه وسلم كمن رجع
شيء كفر ان تاب وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسراء
بذلك وان كان مظهرا لذلك مستهزئا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا
يستتاب قال ابو الحسن المغربي ان قتل وهو مكره للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره بحق ورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء
وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة من القتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب ونادى عليه واتى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا
يكفن ولا يستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابو الحسن في الجهاد
المتمادي سبه لا يكون الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل
قول اصبغ وكذلك في كتاب بن سحنون في المرتد بتمادي على قوله ومثله
لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب بن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال بن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ
قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد انما يقتل في ميراث
الذي تدين الذي يستعمل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف
انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعلم عليه
بينة انه لم يقتل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن بن القاسم في كتاب بن
حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به
الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال يقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته وبه قال الشافعي وابو ثور وبن ابي ليلى واختلف فيه عن
احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبن مسعود وبن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث والنخعي
وابو حنيفة ترثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما
يكسبه في الارتداد للمسلمين وتفصيل ابي الحسن بن ابي جوابه حسن

بين وهو على رأي اصبغ وخلافا لقول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث
الذمي قمرة ودنوس منه من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها واعترف
بذلك واظهر التوبة وقال اصبغ ومحمد بن مسلمة وغيرهما من اصحابه لا تنفعه
الاسلام بانكاره وتوبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان جبر الجماعة
المشهور لان ماله يتبع دمه وقاله به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
وابن الماجشون وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب القاسم في العتبية الى انه ان
اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يرث واما لو مات حتف انفه قبل ان يرث
ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانه يتوارثون بوراثة الاسلام ه
وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن المنصراني ليسب النبي صلى الله عليه وسلم ه
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه ليس للمسلمين ه
ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل الدينين وانما هو لانه من فيئهم
لمقتضى الشرع هذا معنى قوله واختصاره الباب الثالث
في حكم من سب الله تعالى وملائكته وكتبه وانبيائه ورسله وآل النبي صلى الله عليه
وسلم وان واجبه وصحبه لا خلاف ان سب الله تعالى من المسلمين كالزنا حلال
الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون
وسحنون ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى
من المسلمين فقتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله تعالى بارتداده الجاهدين
فانه يستتاب واظهره ليستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف
وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم
بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان ابوا
ان يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كالردة وهو الذي حكاه القاضي
ابن نصر عن المذهب وأما حكي ابن محمد بن ابي زيد فيما حكى عنه بن رجل لعن ه
وجلا ولعن الله تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان نزل لساني فقال
يقتل نظرا لعرضه ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمقدور
واختلف لفظها في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك المغتنه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شمت عليه شيخا وانه مهما انه قال عند
استقلاله من مرض لئيت في مرضي هذا ما لو قتلته ابو بكر وعمر لم استوجب
هذا لعلم قاضي ابو ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضى قوله تجوز الله

تعالى

تعالى وتظلم منه وكاتبه على منه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسين بن خالد ومنصور بن سليمان المالكي بطرح القتل عنه لان
الماضي رأي عليه التنكيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه
الى التعليمي فوجه من قال في باب الله تعالى بما لا استثناء به انه كفر وردة ه
محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
واظهاره لانتقاله الى دين احق من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك ه
الاستتابة انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهاره الاسلام قبل اتمامه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم
الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر فاظهر السب يعني
الاول تداخل فيرتد اقدا علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك
به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب اكثر العلماء ومذهب ه
مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكر ما الخلاف في فصوله فصل
واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة ه
وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الصواب
والبدعة من تشبيه او نفت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا ما اختلف السلف
وما اختلف في تكفر من قاله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ه
ولم يختلفوا في تعالم اذا تجيزوا فيه وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
واما اختلفوا في المتفقره منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين
توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن
الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء به فسر قول مالك في الموطا
ومما رواه عن عمر بن عبد العزيز بن وجده وعدهم من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وغيرهم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتجريف
والتاويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا
وجبرانهم اموالهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر
وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله لعيسى في المبسوط
في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون واما قتلوا لرايهم
السوء وبمثل هذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى

بكلما استتيب فان تاب والا قتل وبن حبيب وغيره من اصحابنا في تكفيرهم
وتكفيرا صابهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقدري ايضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله كلام انكا دن واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية
الشاميين ابي مسهر وحرمان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شورو في زوج
القدري فقال لا ترجوه قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفاره قال من وصف شيا من ذوات الله تعالى
واشار الى شي من جسده يدا وسمع او بصر قطع ذلك منه لانه سمى الله بنفسه
وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية بن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية المبر بن بكر النيسابوري عنه هم
يقتل ولا يقتل توبته قال القاضي ابو عبد الله المبر تكافي والقاضي ابو عبد الله
المستوري من ايمة العراقيين جوابه مختلف بقتل المستصحا تداعية وعلى هذا
الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى بن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف ترك تكفيرهم وممن قاله الليث وبن
عيينة وبن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله بن المبارك
والاوزاعي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم
في اخرين وهو من قول اكثر الملحدين والفقهاء والمتكلمين وهم وفي الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الرافضة والمشبهة في هذه الاصول وممن روي عنه تكفي
القول الاخير تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبن عمر والحسن البصري
وابي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتكفير الصحابة والمابعين
ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين هم
وجريب احكام الاسلام عليهم قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسايراهل البدع يستتابون كما قالوا والا قتلوا لانهم من الفساد في الارض
كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب
انما هو في الاموال وصلاح الدنيا وان كان ايضا قد يدخل في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا ما يلحقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق
القول في الكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في الكفار اصحاب البدع
والاهواء المتاولين ممن قال قولا يوديه مساقه الى كفر هو او وقف عليه

لا يقول بما يودي به قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف العلماء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قاله الجهمي ومن السلف ومنهم من اباه وكلهم
يراجع جملهم من سواد المسلمين وهو قولا اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم
فساق عصاة ضلال وتوارثهم من المسلمين وحكمهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك
المغيرة وبن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب اخرون في ذلك وكافتوا عن القول بالتكفير او عدده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو هذا
ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انما من المخصوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يودي اليه واضطرب قوله
في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض
كلامهم انهم على رايي من كفرهم باتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم
ولا الصلاة على موتاهم ويختلف في موارثهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا انا نورث موتاهم وورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك اضطرب قول شيخنا ابي الحسن
الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل
بوجود الباري تعالى وقاله مرة من اعتقد ان الله جسم والجسم او بعض
من يلقاه في الطريق فليس بكافر به وهو كافر وعلى هذا ذهب ابو بكر
الطالبي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسالة
فاعتذر لهما بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال عليه بما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في اهل التاويل وان استباحة دما المصلين الموحدين خطره
والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجم من دم مسلم واحد
وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة منقطع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معروفة لا تاويل فيها جاءت
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا تحم لهم في الاسلام وتسميتهم
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وعيبهم

من اهل الاهواء فقد يخرج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين والزوج
وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع
وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم
فتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقتل له الاخر انما ذلك من قتلهم لحق وجب على المسلمين وبينهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فتخصيصهم هاهنا حد
لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحده لا للقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم
بكفره وخاصة يقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال
لعله يصلي فاذا احتجوا بقوله عليه السلام يتمرقون المرات لا يجاوز ايمانهم
حناجرهم ان الايمان لم يثبت على قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله
شبق الفرث والدم يدل على انهم يتقلون من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان
معنى لا يجاوز حناجرهم لا يقبلون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعاد وهو هم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل
يخرج من هذه الامة وخبر ابي سعيد الرواية وانقاده اللفظ اجابهم
الاخرون بان العبارة بهي لا تقتضي قصر بعضهم من غيرها فهذه تخالف
لفظا من الذي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد ورد عن ابي هريرة
وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وخروج
المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بغي ولا ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي ينبه عليه وهذا
ما يدل على سعة لغة الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطهم من الالفاظ
وخبرهم لها وتوبيخهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سنخبئة اقربها قول
جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك

وقال

وقال ابو الهذيل انه كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله
وتكذيبا بخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له انه فهو كافر وقال
بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبني عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب فما سبق الا ان يكون ممن لم
يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري
الى نحو هذا وبه اقول المجبرة دين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذا جمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في واحد والمخطئ فيها اثم عاص فاسق واما الخلاف في تكفيره وفسقه
حكى القاضي ابو بكر الباقلاني في مسئلة قول عبيد الله عن واصل الاصبهاني
قال وحكي قوم عنها انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وقال في هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله عليهم اذا لم يمكن لهم طباع يمكن منها الاستدلال
وقد حكى العنبري قريبا من هذا المعنى في كتاب التفرقة وقاربل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من
فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان
التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النبي والتوقيف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان
ما هو من المقامات كفرا وما يتوقف ويختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان
تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه موردّ الشرع لا مجال للعقل فيه هو
والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او اتخاذ الهة
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كعبادة الدهرية وسائر فرق
اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين
والنصارى واليهود والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان
او الملائكة او الشياطين او الشمس او القمر او النار او احد غير الله من سائر
العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من
الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله وحده اثبته ولكن اعتقد انه
غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة

او والدا او ان مولد من شيء او كان عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره
او ان شخصا منا العالم سواه او مدبرا وغيره قد ذلك كله كفرا باجماع المسلمين
كقول الاباحيين من الغلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من ادعا
مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض
المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك يقطع على كفر من قال
بقدم العالم او ببقايه او شك في ذلك على مذهب بعض الغلاسفة والدهرية
او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابدا الاباد في الاشخاص وتعذيبها
او تنعيمها بينهما عجسب زكايا وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا عليه السلام
خصوصا او احدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كاليهودية وعظم اليهود والاروسية من النصارى وكالخرابية من
الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة
والاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هولاء قد اشركوا في
كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من ذهب بالتوحد انه وصحبة النبوة ونبوة نبينا عليه
السلام وكذلك جون على الانبياء الكذب في ما تواتر به اخبارهم في ذلك المصلحة بن عمه او لم
يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هولاء عموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من
الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس
هو على ما ينبغي عن مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة
المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصورهم فيكلمهم قصدوا تعالى ابطال
الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما تواتر به وكذلك
من اخبار اني نبينا تعمدا الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرا بهم او اذاهم او قتل
نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض المتقدمين
في ان في كل جنس من الحيوانات نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وهذا لا يؤدي
الى ان نوصف انشاهد من الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على
هذا المنصب الشريف ما يفيد مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله
وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام

ولكن

ولكن قال كان اسود زمان قبل ان ينبغي وليس الذي كان يكذب ويجازف
بشيء الا ان وصفه بعض صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من اليهود الغائلين هو
بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية الغائلين بنبوة ابن الرسول وكاكثر الرافضة
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك
الكلام عند هو لا بنوع مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والكيالية
منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واسباطهم هو لا ومن ادعا النبوة لنفسه
او جوز اكتسابها والبلوغ بصفا القلب الى من بينها كالغلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السما ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين هو
وهولا كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه
السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم
النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام هو
على ظاهره وان مفهوم المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا يسبك في
كفر هولا الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على هو
تكفير كل من دافع نصا لكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله متظوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره لتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من
لم نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ووقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باطنا وما ظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة
كقول الكيسانية من الروافض بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم تقدم ويطلب حقه في
التقديم فهولا قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذا قالوا بكفرة على زعمهم والى
هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا
من وجه احر لسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
انه هدى الى علي وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم
وصلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون

انه لايصدر الامن كافر وان كان صاحبه متصفا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والعمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس
والبيع مع اهلها بين يدي من شدة الزنانير وفحص الرؤس وقد اجمع المسلمون ان
هذا لايوجد الامن كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او الزنى
والخمر والزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف بيقيننا بالنقل المتواتر من فعل الرسول وقع
الاجماع المتصل عليه فمن انكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها
وتجدد انها ويقول انها وجبتها الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمها اذا لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلاة ركعة في النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرايض انما وجبت امروا بها لا ينفعهم والحبايث والمحارم انما حرمت
امروا بالبراءة منهم وقولهم بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة
انما صفت نفوسهم اذقت عنهم ابي اسقاطها واباحة كل شي لهم ورفع عنهم
الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة
الحج او قال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه
على هذه الهيئة المتفارقة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري على اي تلك او غيرها ولعل القائلين ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا وهموا فمثله لا ادري اني تكفيره
ان كان ممن يظن به علم ذلك ومن خالط المسلمين فلا تجد بينهم خلافا
كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه
الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة
والبقعة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا
اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به
وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى
بذلك وابان حدودها فتفهم لذلك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك تجد

والمرتاب

والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري وله يصدق فيه بل ظاهره المستنزع عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانا اذا جوزنا على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول عليه السلام وفعله والتغيير
مرادا لله تعالى به ادخل الاستراية في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها والقرآن واخذت عن الدين كوة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاثنا
او زعم ان ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضرير انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله
ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفر من قال ذلك القول
وكذلك تكفير من انكر وهما ويكون في سايس معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة لله او في خلق السموات والارض دليل على الله سبحانه لما تقدم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما بقي منه بعد علمه انه من القرآن الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد
بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم
به او لتجويزه لوهم على ناقليه فتكفيره بالطن يقين المعتقدين لانه
مكذب القرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه لتشتت يدعواه
وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيامة فهو كافر
باجماع المضي عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف
بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والغلاسفة والباطنية وبعض الصوفية وزعم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض والتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الغلاسفة وكذلك يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الايمة
افضل من الانبيا واما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلدان التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من
الدين كانكار وغروة بتوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر وقتل عثمان
او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكار وجود شريعة فلا

سبيل ابي تكفيره بجحد ذلك وانكاره وقوع العلم له اذ ليس هي ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد ونفاة الجهل ومحاربته على من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل مخالفة الناقلين روهم من ضعف المسلمين اجمع فتكفيره
بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس مرتبة
النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين والفقهاء قاطبة في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عندهم واحتجوا بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الو
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله انفسهم وذهب اخرون
الى التوقف في تكفيره من خالف الاجماع الكائن عن نظر لتكفيره النظام بانكاره
الاجماع لانه يقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به وخارق
للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجود
الايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد لقوله ولا اراي الان يكون هو
الجهل بالله قال عيسى بن دينار او فضل بن عمرو وسئل عنه او اجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاحد قولا وفعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها
الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا لا يجوز الله ورسوله
او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون له الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس
بالزنار ان وامع اعتقادها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن
معه العلم بالله كالسب والضربان لم يكونا جهلا بالله فمما علم ان
فاعلهما كافر مشرك من الايمان فاما من لم يعتقد من صفات الله تعالى الذاتية
او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم
وشبه ذلك من صفات المعاني الواجبة له تعالى فقد نص ابو علي على الاجماع على
كفر من عنى عنه تعالى الوصف بها واغراه عنها وعلى هذا احمل قول من
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المعتزلة وبين كما قدمناه فاما من
جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم
وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاخصري
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري

قال

قال لو لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما كفر من
اعتقد ان مقاله حق واحتج هو لا بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم
انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث الغلام الذي بين قدر الله علي وفي رواية فيه
علي اصل اسم قال فتذكر الله له قالوا ولو بحث اكثر الناس عن الصفات
وكيفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخرون عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر يجيء قدر ولا يكون شكه في الله ذرة علي اعتقاد
بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بالشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به
شرع يقطع به فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فمن
مجوزات العقول قدر يجيء ويكون ما فعله بنفسه انزرا عليها هو
وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط
للفظه مما استولى عليه من الجوع والخشية التي اذهلت لبه فلم يواخذ
به وقيل كان في زمن الفترة وحيث يقع مجرد التوحيد وقيل بل هذا
من مجاز كلام العرب الذي صورته المثل وسماه المحققون وهو يسمى تجا
الغارفين وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة
فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام وهكذا في سائر الصفات
على مذهب المعتزلة ممن قال بالمثال لما يوديه اليه قوله وليس قولنا اليه
مذهب كمن لا اذا نفى العلم اثبتني وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له
علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر
من اهل البدع والميل من المشبهة والمجبرة وغيرهم ولم يراخذهم بمال قولهم
ولا الزمهم موجب مذهبهم لم يراقبهم ولم يكفرهم اذ وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننفي من القول بالمكان الذي التزموه لما ونعتقد نحن
وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوصل اليه على ما اصلناه فعلى هذين
المذاهبين اختلف الناس في الخطا واهل التاويل واذا فهمت انقطع ذلك الموجب
لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم
عليهم بالخسران واجراحكم الاسلام عليهم من قصاصهم وداياتهم ومناكحتهم
وبالترحم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسايرا معاملاتهم
كنهم يغلظ عليهم بوجوه الادب وشدة الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان منهم على زمان الصحابة

هل

وابعدهم في التابعين من قال بعبده الاقوال من انذر ورايها الخوارج والاعتزال في
ازاحوا لهم قيدا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر اجرامهم لانهم فساق خلاف عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة من لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر وحتى اقتدعه واما سايل الوعد والوعيد
والرويه والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من
الدقايق فالمسرع من الكفار والمخالفين فيها واضح اذ ليس في الجهل بشي منها هو
جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيا منها وقد قدمنا
في الفصل قبل هذا من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما غنى عن اعادته
بحول الله فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذي
روي عن عبد الله بن عمرو بن ذهبي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه
من دينه وحاج فيه فخرج عليه بن عمر بالسيف فضربه فمرب وقال كما قال
في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
حبون من شتم الله تعالى من اليهود او النصارى بغير الوجه الذي به كفروا
قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوطة خلافا قال
اصبغ لان الوجه الذي به كفروا عوده بهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد وما غير هذا من الغرية والشتم لم يعاهدوا
عليه فهو نقض العهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل
الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول
مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر
قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصارى ينذ وغيرهم بقتلهم لسبهم بالوجه الذي كفروا
به الله والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب غيره لانا عاهدنا هم على ان لا يظهروا لنا من كفرهم
ولا يسمعونا شيا من ذلك فمتى فعلوا شيا منه فقد نقض العهد منهم واختلف
العلما في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ

لا يقتل

لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين
لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قال غير هذين
فصل هذا حكم من صرح بسبه واما فاعله ما لا يليق بجلاله
والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او الثاني ان يكون الله تعالى اوحى اليه او قال ليس لي رب او المتكلم بما
لا يعقل من ذلك في سكر او غموسة جنون فلا خلاف في كفر قايل ذلك ه
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور عه
وتنفعه اذا تاب وتنجيه من القتل فيشه لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا
يبعد من شديد العقاب ليكون ذلك زاجرا لمثله عن قوله وله عن العودة
لكفره او جعلنا الامن مكروها لمثله وعرف استهانته بالنبي به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا ناس باطنه
ولا تقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فما علم انه قاله من ذلك في حال جنونه وذهابه بالكلية فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال يسيره وان لم يكن سمعه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك ليكف زجره عنه كما يؤدب على قبايح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى
يمكث عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب
رضي الله عنه من ادعاه الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه وقتل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشيا مثله واجمع
علما وقتهم على صواب فعلهم وانما اختلف في ذلك من كفرهم كما ذكرنا جمع فقها
مجتهدا ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاته ابو عمر المالكي على قتل ه
الحلاج وصلبه لدعواه الالهية وكما تقول انا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكما في ابن ابي العزاقر
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد ه
يومييذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبا
قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه اورثه او قال ليس
في الرب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ه محمد في العتبية
فيمن تنبا يستتاب اسر ذلك ام اعلنه فهو كالمرتد وقال سحنون
وغيره وقال اشهب في يهودي تنبا وادعا انه رسول الينا ان كان
معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن

لمن يا درب وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل
عذره وهذا عندي القول الاخر من انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن الغابي
في سكران قال انا الله انا انبيه ان تاب ادب فان عاد اني مثل قوله طوب مطلقا لانه
الزنديق لانا هذا كفر لا يلتبس فصل واما من تكلم من سقط
القول وسخط اللفظ من لم يضبط كلامه ولا عمل لسانه بما يشتهي لا يستخف في نظرة
ربه وجلاله لزلة او مثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
بمخلوق مالا يليق الا بمن خلقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد الى الحاده
فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجلاله
بعظيم قدرته وكبير بأيه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ما اوهمه يوجب الاستخفاف
والنقص لقدر وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف
بابن اخي عبيد كان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخرا وبرئي جلوده وكان
بعض الفقهاء يفتي ايضا بقتل صاحب الخمايلة وعبد الاعلى بن وهب واما ابن عيسى
فذهب فيهما الى سقوط القتل عنهما واشار الى انه عيب من القول يكفي فيه الادب وافتى
بمثله القاضي حبيب وموسى بن زياد فقال ابن حبيب دعه في عنقي ابيتم رب عبد
ثم لا ينتصر له انما العبيد سوط نا نحن له بعد بين وبكى ويروى فرفع المجلس الى الامير
فقال عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت تحب عمة هذا المطلوب من خطاياه عد
واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الامر من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وضاعف
امر ابنه فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القضية وروح بقية الفقهاء وسهم وما من صدرت عنه من تلك الهفوة
الواحدة والفلتة الشاذة ما لم يكن منقصا او ازريا فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة منتهاها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومعادها
وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسم فاجابه لبيك اللهم
لبيك قال ان كان جاهلا اوقال علي وجهه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الوليد
وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يؤدب ويعلم والسفيه يؤدب ه
واقرها على اعتقاده انذاله ستر له ربه فكفر هذا منتهى قوله وقد
اشرف كثير من سخفاء الشعراء ومتعبيهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه
الحرمة فاتوا من ذلك بما تنزه كتابنا واساتذتنا الملتاعون ذكره ولولا قصدنا
لبعض مسايل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا وما حكيناه في هذه
الفصول انما جاء وورد في هذا من اهل الجهالة والغالط اللسان كقوله

يعشن الغربان رب العباد مالنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لك انزل
عليها العيث لا ابا لك في اشياء لهذا من كلام الجهال ومن لم يقمه لعان تاديب
الشرايعة والعلم في هذا الباب فعل ما يصدر الامر عما على يجب لحلمه وزجره والالاظ
له عن العودة الى مثله وقال ابو سليمان الخطابي وهذا نحو من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم
ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب ومثل به كذا وكان بعض
من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
لئلا لسان جريت خيرا وكل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسم الله تعالى ان
يسمهن في غير قربة وحدثنا الفقيه ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على
اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هو لكما يتمدحون باسمه جل وعز ويترك الكلام في هذا الباب لتنزيله في باب
سايه النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق ه
فصل وحكم من سب سايرا نبيا الله تعالى وملايكته واستخف بهم
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد
وقاله ابن القاسم من الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ ومحمون فيمن سب الانبيا
او احدهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى محمون عن ابن القاسم في سب الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفروا ضرب عنقه الا ان يسلم وتقدم الخلاف في هذا الاصل وقال
القاضي يخرج على قول سعيد بن المسيب في بعض جوابه من سب الله وملايكته قتل
وقال محمون من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل وفي النوادر عن ابن حبيب
من قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا
قتل ونحوه عن محمون وهذا نحو ما تقدم من الروايتين في ذلك لعنهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابن حبيب وأصحابه علي
من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن
الغابي في الذي قال لاحد كان وجه مالك الحطيان لو عرف انه قصد ذم الملك

فصل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قدمناه على جملة الملائكة والنبيين او على متعين من حققنا كونه على معين من الملائكة والنبيين عن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالتواتر المتوارث والمستفيض المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكايل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء كعمران ابراهيم واسماعيل ورضوان هـ والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فانا ان لم نثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس ونحو ذلك فالذب عن الموحون كالموحون بنبوته وليس الحكم في سابهم وكالكاذبين بهم كالحكم فيمن قد مناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تعرضهم واذاهم ويؤدب بحسب ما يخاف المقول فيهم لا سيما من عرفت صدقه وفضله منهم واذا لم تثبت نبوته وانما انكار نبوتهم او كونه الاحق من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف العامة فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب بها او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله بنانا ابو علي بنا ابن عبد البر بنا ابن عبد المؤمن بنا ابن داسة بنا ابو داود بنا احمد بن حنبل بنا يزيد بن هارون بنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤدن بمعنى الشك ويعني هـ الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع الاقطار والامصار المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام

الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واه جميع ما فيه حق وان من نقص حرفا قاصدا بذلك الى بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا بكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الجلال ليس بكلام موسى نكلما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على رجل ان اسلم يكلم موسى كليما وشهد آخر عليه انه قال ما الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عمران بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد مختلفون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العباس اذا قرأ عنده رجل ثم قيل له ليس كما اقرأت ويقوله اما انا فاخبرك انه انزل ذلك ابراهيم تعالى سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القاضي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال لا احلف لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهدان فشهد احدهما انه سأله عن الغضبة فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والذي على الامر بصفة تحتمل التاويل انه لعله يريد اليهود ممن سكن بني من عند الله ليبدلهم وكفرهم وكما انفق الشاهدان على لعن التوراة مجرد الفاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المصريين المتصدرين بجامع بن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف فيما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنها والتوبة منه سجلا اشهدوا فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل فصل وسبة الله تعالى وكذا سبة انبيائه وملائكته واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله بنانا القاضي الامام ابو علي رحمه الله بنانا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل بنانا ابن خيرون

نبانا ابو علي التستري نبانا ابن محبوب نبانا الترمذي نبانا محمد بن يحيى نبانا يعقوب
ابن ابراهيم نبانا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن اسبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان
يسبون اصحابي فلا يصلوا عليهم ولا تفاتحوهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعند عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد
اعلى النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذي النبي حرام فقال
لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عائشة
وقال في فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في
هذا فمنهم من ذهب كمالك في ذلك الا جلد والادب الموجع قال مالك
رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر
قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا في الشيعة الى بعض عثمان والبراة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بعض ابا بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم علي او عثمان
او عمر هما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن
شتم عيرهم من الصحابة نكل هذا النكال الشديد وروي عن مالك
من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد
خالف القرآن وقال ابن شعبان عند لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن القطان
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه

اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقولهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في ابي كبيرة
وذكر نفاي ما نسبه اليها فتون ابي عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته
من السوء وهذا يشهد لقول ما قدمت في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم
ان الله تعالى عظم سبها كما عظم سب رسوله وكان سبها سبا للنبي وفتن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة يا كوثر فقدم الى موسى بن علي العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن ابي ليلى انا اخذت عينيه وحلق راسه واسلمه في الحجامين وروي
عن عمر بن الخطاب انه نزع وقطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المنذر الاسود
فلم ير في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم وروى ابو داود في ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يجيء الا بضاء
فقال لولا ان له صحبة لعلمتكم كم قال ما ادري من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله الفي الى ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
الاية وهو لا اظنكم ثم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن لم يقل هذا فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن سحنون من قال باي واحد منهم ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا
حد حد له وحد لامه ولا اجد له كفاية الجماعة كلهم لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
حد حد الفرية لانه سب فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما
يجب له والا فمن قام من المسلمين كان على الاحكام تبول امامه كما وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هولا بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واعند
عليه كان ولي القيام به كما قدمنا من سب عيرة عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فيها قولان احدهما يقتل لان النبي صلى الله عليه وسلم يريب حليلته والاخر انها
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال ابو الوليد وروى ابن مصعب عن مالك
من انتقص ابي بيت النبي صلى الله عليه وسلم ضرب ضربا وجيعا ويشهر ويجبس طويلا
حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول واتى ابو المطرف الشعبي فيه ما لقد في
رجل انكر تخليف امراة ابا ليلى وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا ايمانا
وصوب قوله بعض المشيخة بالفقه فقال ابو المطرف وكذلك هذا لانه ابي بكر في مثل